

# رياض الصالح الحسين الأعمال الكاملة



شعر



## الأعمال الكاملة

منشورات «ألف باء Alfab»

## المؤلف: رياض الصالح الحسين الكتاب: الأعمال الكاملة (شعر)

- صدرت النسخة الرقمية: نيسان / أبريل 2026  
- الإصدار الأول للكتاب (2015)، منشورات المتوسط،  
بالتعاون مع مؤسسة نايانيل للثقافة ورابطة الكتاب السوريين

- الناشر: «ألف ياء AlfYaa»
- الموقع الإلكتروني: [www.alfyaa.net](http://www.alfyaa.net)
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF،  
Mobi و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ«ألف  
ياء AlfYaa»
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف  
يعبر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
- «ألف ياء AlfYaa» ناشرة للكتاب فقط وهي  
غير مسؤولة عن محتوى الكتاب



- تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداود

رياض الصالح الحسين

# الأعمال الكاملة

شعر



# المحتويات

مقدمة رياض الصالح حسين شاعر التفاصيل الصغيرة  
في زمن المذابح الكبرى ..... 11

**57** ..... خرابُ الدّورةِ الدّمويّةِ

61..... دخان

63..... الرجل السيئ

70..... جرثومة النبع

75..... أقمطة ونياشين وولاعات للرجال السعداء

83..... سطور من كرّاسة الخطابين الأشرار

93..... خراب الدورة الدمويّة

101..... مارسيليز العصر النيتروني

108..... عيد للقبلة... أعياد للقتل

116..... رقصة تانغو تحت سقف ضيق

119..... مساء هادئ فقط

123..... خنجر أبيض

124..... النهر

126..... يحدث أن

128..... العدالة

129..... أساطير

138..... (.....)

**143** ..... أساطير يومية

147..... حرب. حرب. حرب

154..... بعد ثلاثة أيّام

160..... نيكاراغوا. نيكاراغوا

167..... ذات يوم فوق سرير شاسع

**175** ..... أساطير يوميّة

177..... الوقت/القبلة

178	الولد/الفتاة
179	لماذا
181	الشبه
182	مياه مالحة
183	167 سم
184	قلب مكسور
185	ذلك الطفل... تلك المرأة
186	إنها تقترب
188	ورق
189	ثورة صغيرة
190	بندر شاه
191	أطوار غريبة
193	اطمئنان
195	جندي
197	فنان
198	رجل
200	زوربا
202	هيلين
205	هيروشيما
208	أغنية رجل متعب عائد إلى البيت
210	فيما بعد
212	الكلمة الأخيرة

## 215 ..... بسيطٌ كالماء .. واضحٌ كطلقةٍ مسدّس

219	تفاصيل
221	رائحة ما
223	سورية
224	القراصنة
225	الصمت
227	أرقام
228	من؟
229	لا شك بذلك يا ديكارت

231	كهنة بشوارب طويلة
233	سقراط
234	أيام
236	بالتساوي
238	الحرية
240	ما يحدث لي ولكم
242	جدار
243	غداً في الصباح
244	قمر
<b>247</b>	<b>انفجارات</b>
249	البيضاء
254	غرفة صغيرة وصيقة ولا شيء غير ذلك
260	حيث في كل خطوة قمر مكسور
267	بين يديك أيها العالم
279	أيُّها الأحجار استمعي إلى الموسيقى
285	يوميات

## **293** ..... **وعلّ في الغابة**

<b>297</b>	<b>قصائد</b>
299	غرفة الشاعر
301	غرفة المحارب
303	غرفة السائح
305	غرفة مهدي محمد علي
307	الولد النائم
<b>311</b>	<b>رغبات</b>
313	كنجمة في السماء كوعل في الغابة
317	رغبات
<b>321</b>	<b>مفارقات</b>
323	الذئب
325	مقاطع

327	روثين
328	يهوي
329	خراب
330	حلم
331	تغيير
332	العاشق
334	الرأية
335	حياتنا الجميلة
336	بلادنا الجميلة
337	لا أحد
338	فصول
339	عتمة
340	الشهيد
341	شارع
342	الجدار
344	نتفق أو لا نتفق
346	غداً
<b>347</b>	<b>قصائد عن الموتى</b>
349	كم هي لذيذة
351	الخنجر
352	فنان
353	ثوب أزرق
354	الدراجة
355	كتابة
356	العاشق
<b>357</b>	<b>حب</b>
359	يدك
361	حتى الذئاب
362	هكذا
363	المعجزة
364	تساؤلات

366	الحب
368	أرجوك
370	دائماً I
374	دائماً II
377	مشاهد يومية
381	اثنان
383	اعتیاد



## مقدمة

رياض الصالح حسين  
شاعر التفاصيل الصغيرة  
في زمن المذابح الكبرى

طالب الداوود



في هذه المحاولة النقدية، انطلقت من قراءة متأنية للأعمال الشعرية الكاملة للشاعر رياض الصالح الحسين، محاولاً الاقتراب من نسيجها الداخلي عبر أدوات تحاول أن تكون منصفة لطبيعة هذا الشعر الذي لا يحتمل القراءة الانطباعية العابرة فقط. اعتمدت في منهجي على التتبع البنيوي للنصوص، مع تركيز مكثف على الاستشهادات الشعرية باعتبارها الحضور الأكثر إلحاحاً في أي حكم نقدي، فكان لا بد أن تبقى الشواهد النصية هي العمود الفقري للتحليل، لا مجرد هوامش تزيينية.

توزعت الأدوات التي وظفتها بين مقاربات بنوية تتعقب التشكيلات الإيقاعية والتركيبية، وأخرى دلالية تبحث في شبكة الثنائيات المتوترة التي يقوم عليها عالم الشاعر. كما أوليت عناية خاصة لمسألة المكان بوصفها بنية مركزية في التجربة، حيث تحول المكان من مجرد فضاء فيزيائي إلى عتبة وجودية تفسر كثيراً من انكفاء النصوص واندفاعاتها في أن. لم أغفل الرهان على تتبع التحولات التي طرأت على البنية الشعرية نفسها، من الديوان الأول "خراب الدورة الدموية" إلى الديوان الرابع "وعلى في الغابة"، محاولاً رصد كيف صار الموت أكثر حضوراً وأقل ضجيجاً، وكيف تكثفت اللغة باتجاه الومضة في المرحلة الأخيرة.

أما النتائج التي توصلت إليها، فقد تجاوزت مجرد التوصيف الانطباعي لتأسيس رؤية تقول إن تجربة رياض الصالح الحسين لا يمكن اختزالها في كونها مجرد تجربة "شخص معذب"، بل هي محاولة منهجية لتفكيك الموضوعات الكبرى (الوطن، العدالة، الثورة) عبر العودة إلى تفاصيل الجسد

والحياة اليومية. تبين لي أن هذه التجربة استطاعت أن تخلق لغة خاصة تتوسط بين البساطة التي لا تصادر العمق، وبين الوضوح الذي لا يلغي القسوة. كما أظهرت القراءة أن شعر رياض، رغم قصر عمره الإبداعي، قد شهد تحولات نوعية واضحة، من احتجاج أكثر صخباً في الدواوين الأولى إلى تأمل أكثر هدوءاً واكتمالاً في الديوان الأخير، مع بقاء همّه الأساسي ثابتاً: تفكيك العلاقة بين الإنسان والسلطة والمجتمع والمفاهيم التي تتحدث عن هذه العلاقة الشائكة، وإعادة الاعتبار للأشياء الصغيرة بوصفها وعاء للمعنى وللمقاومة معاً.

**رياض الصالح الحسين (1954-1982) واحد من**  
التجارب الشعرية الأكثر إثارة في تاريخ الحداثة الشعرية السورية. لا تتبع أهميته من كونه مجرد اسم إضافي في مسيرة قصيدة النثر، بل من التناقضات الجوهرية التي شكّلت وجدانه: الهشاشة الجسدية مقابل القوة التعبيرية، العزلة الحسية الناتجة عن الصمم والبكم مقابل الانخراط الكوني في هموم الإنسان. لقد مثّل ظهوره في المشهد الثقافي السوري والعربي تحولاً نوعياً في بنية الشعرية العربية، حيث استطاع أن يؤسس لخطاب يعتمد على الوضوح الجارح والبساطة المتقصدة كأدوات جمالية وفلسفية.

عاش رياض في مرحلة تاريخية شديدة التعقيد، امتدت من ما بعد نكسة 1967 إلى صعود الحركات الثورية وتكثف الصراعات الأيديولوجية، وهو ما انعكس مباشرة على نسيجه الشعري الذي حمل بصمة جيل السبعينيات في محاولته تجاوز البلاغة التقليدية نحو قصيدة التفاصيل اليومية. أما صممه وبكمه فلم يكونا مجرد عجز جسدي، بل وسيلتين رؤيويتين منحنا نصوصه كثافة بصرية ولمسية فريدة، حوّلت العجز إلى

طاقة قادرة على اختراق جدار الصمت.

في شعره، يتحول اليومي إلى أسطوري، وتصبح المفردات البسيطة كالخبز والسكين والغرفة رموزاً وجودية وسياسية. يعتمد إيقاعه على تكرار البدايات والجمل القصيرة الحادة، ما يخلق موسيقى داخلية تعوض غياب الوزن التقليدي. بلاغته تقوم على الانتقال من الاستعارة الكبرى إلى الصورة الملموسة، حيث تسود ثنائيات ضدية كالماء والطلقة، والطفل والطاغية، في نسيج تمزجه مفارقة سوداء تعبّر عن يأس مضيء، وسخرية مريرة من الوجود.

إن تجربة رياض الصالح الحسين تظل فريدة لأنها استطاعت أن تجرد الشعر من الفخامة الشكلية، وأن تعيده إلى رصيف الشارع، محولة الخراب الشخصي والعام إلى أساطير يومية، ومقدمة نموذجاً استثنائياً لقصيدة النثر العربية في أصفى تجلياتها.

تشكل الأعمال الكاملة لرياض الصالح الحسين اليوم مرجعية هامة لدراسة الحداثة الشعرية العربية، ليس فقط بسبب تقنياته النصية، بل لقدرته على تحويل المعاناة الشخصية والجسدية إلى بيان إنساني عام. تبقى نصوصه شاهدة على مرحلة زمنية محددة، ومعبرة عن هوية شعرية حاولت تأسيس عدالة جمالية جديدة، تقوم على انتصار التفاصيل الصغيرة على الخطابات الكبرى، مما يمنح إنتاجه استمرارية تتجاوز زمنه الحيوي القصير، ويؤكد على دور الشعر كأداة حياة ومقاومة للعدم.

## 1. التهميش والرمز السياسي

لم يكن رياض الصالح الحسين شاعراً "أيديولوجياً" بالمعنى الضيق، بل كان يكتب "السياسة الحيوية" التي تمس جسد الفرد اليومي. السياسة عنده ليست شعارات، بل هي "طابور الخبز"، و"عجھية المخبر"، و"حذاء الجندي". هو ينسلخ من الجماعة الكبرى ليعبر عن صرخة الفرد المهمش، محولاً معاناته الشخصية إلى إدانة كونية للسلطة.

في قصيدة "دخان"، يضع الشاعر نفسه في كفة مقابلة للقوى المهيمنة، ليس كخصم سياسي، بل ككائن يمتلك "حكاية" موازية:

"سأقف، أيضاً، سأقف  
لأحدِّثكم عني  
مثلاً يتحدَّث الديكتاتور عن سجونہ  
و المليونير عن ملايينه  
و العاشق عن نهدي حبيبته".

هنا نجد "براعة المقارنة"؛ فكلامه عن ذاته المحطمة يعادل في القيمة "سجون الديكتاتور"، مما يوحي بأن "الأننا" الشاعرة هي المساحة الوحيدة التي لا يمكن مصادرتها. أما في قصيدته الشهيرة "سورية"، فهو يقدم تعريفاً للوطن بعيداً عن الرومانسية المعتادة، تعريفاً يمزج بين الحنان والقسوة الجارحة:

"يا سورية الجميلة السعيدة  
كمدفأة في كانون  
يا سورية التعيسة  
كعظمة بين أسنان كلب".

إن استخدام تشبيه "العظمة بين أسنان الكلب" هو ذروة الواقعية النقدية التي تميز بها رياض؛ حيث الوطن ليس سماءً ولا علماً، بل هو جسد مستباح يتصارع عليه الأقوياء، وهو ما يعززه في قصيدة "العدالة" برؤية طبقية مجهرية:

**"العدالة هي أن أكل رغيبي بهدوء**

**أن أذهب إلى السينما بهدوء**

**أن أغني بهدوء**

**أن أقبل حبيبي بهدوء وأموت بلا ضجة".**

## 2. البنى الصوتية والإيقاعية في قصيدة النثر

رياض الصالح الحسين هو أحد أعمدة "قصيدة النثر" السورية. تغيب في أعماله البحور الخليلية والتفعيلة، لكنها تعوض ذلك بـ "إيقاع النفس" و "التكرار المتوازي" الذي يخلق موسيقى داخلية تعويضية.

يعتمد رياض على "تكرار البدايات" لخلق نبض موسيقي بديل للوزن، كما في قصيدة "دخان":

**"سأقف، أيضاً، سأقف لأحدثكم عني**

**لأحدثكم عن الحب الذي يقاتل المرائي**

**عن المرائي التي كانت تفتح دفترها الملكي".**

هذا التكرار ("سأقف"، "عن") ليس حشواً، بل هو "ترجيع صدى" يعوض الصمت الجسدي للشاعر. كما نلاحظ استخدام "الجمل القصيرة" الحادة التي تشبه طلقات المسدس، مما يعطي القصيدة إيقاعاً متسارعاً يوحي بالقلق والتوتر:

**"قلبي سائغ للقضم**

**ملجأً للأرانب الزرقاء**

**سمكة قرش بزعانف من صبار شرس".**

الموسيقى عند رياض ليست في "الطنين" بل في "الهمس"،  
وفي تقطيع الأسطر الشعرية الذي يوحي بلهث المحارب أو  
أنفاس المحتضر.

باعتباره شاعراً أصيب بالصمم والبكم، نجد في نصوص  
رياض الحسين احتفاءً استثنائياً بـ "الصوت" و"الكلام" كفعل  
تحرر. القصيدة لديه هي الأذن التي يسمع بها، واللسان الذي  
ينطق به. تتكرر في أعماله مفردات (يسمع، يغني، صراخ،  
طنين) لتعويض الغياب الحسي المادي بفائض شعوري.  
في قصيدة "دخان"، يتمنى الشاعر أن تستنطق الجمادات  
لتمثله:

**"و عندما يصبح للنافذة عينان تريان ياسي  
وللجدران أصابع تتحسس أضلاعي  
و للأبواب السنة تتكلم عني".**

هذه الرؤية "الأحيائية" للأشياء ليست مجرد ترف بلاغي،  
بل هي حاجة وجودية لكسر جدار الصمت. وفي قصيدته  
"أرجوك"، يظهر التوسل للتواصل كخلاص أخير:

**"اكتب لي شيئاً أرجوك  
دعني أفهمك وتفهمني  
اكتب لي شيئاً... قل لي ما النفع أرجوك  
من فم بلا شفاه  
من سماء بلا زرقة".**

إن "الفم بلا شفاه" هو رمزية مكثفة لحالة العجز عن  
التواصل التي كان يعيشها مادياً، لكنه كسر لها أدبياً بتحويل  
الكلمات إلى أفعال جسدية: (أقضم الكلمات، أمضغ العنب،  
ألحس الجراح).

بسبب فقدته للسمع والنطق، طوّر رياض الصالح الحسين  
"لغة حسية" تعتمد على تعويض الغياب الصوتي بكثافة بصرية  
وشمية ولمسية. القصيدة عنده تُشم وتلمس أكثر مما تُسمع. في  
قصيدته "رائحة ما..."، نجد احتفاءً بالرائحة كذاكرة بديلة:

"هناك رائحة ما

ليست كرائحة الملابس القديمة

و بطاقات التعزية

و المستنقعات

رائحة ما...

تذكّرني دائماً

بجنود عاندين من الحرب".

الرائحة هنا هي الخيط الذي يربطه بالواقع. وفي قصيدته  
"يدك"، يتحول اللمس إلى فعل "جيوسياسي":

"خمس قارات مغلقة

تنتظر أصابع يدك الخمسة

خمس قارات مفتوحة تنتظرني

عندما أضم أصابع يدك الخمسة".

هذا الاختزال للعالم في "لمسة يد" هو ذروة الرومانسية  
المادية التي امتاز بها رياض؛ حيث يتحول الجسد المحبوب  
إلى "خارطة خلاص" من العالم المنهار. هو لا يتحدث عن  
"صوت" الحبيبة، بل عن "شعرها الذي كقطع من الماعز  
يرعى في بركة القلب".

### 3. البنى البلاغية والدلالية

تتميز بلاغة رياض بالانتقال من "الاستعارة الكبرى" إلى

"الصورة الملموسة". هو لا يمدح الحبيبة بالقمر، بل يجعل  
"نهدا غزالة" و"جواربها عشبية".

**التشخيص:** يمنح الحياة للجمادات بشكل مذهل، جاعلاً العالم  
كائناً عدائياً أو صديقاً حميماً:

**"وعندما يصبح للنافذة عينان تريان ياسي  
وللجدران أصابع تتحسس أضلاعي".**

**الاستعارات الصادمة:** يمزج بين الرقة والقسوة في صورة  
واحدة:

**"القبلة الأولى رصاصة  
الطلقة الأخيرة حب".**

أو في تشبيهه البليغ لقلبه:  
**"لي قلب مكسور كسفرجلة  
لدى كل رجل قطعة منه".**

**الكناية:** يستخدم تفاصيل يومية ككنايات عن الفقر  
والاضطهاد:

**"الذي لم يأتِ  
وسأقف، أيضاً، سأقف  
لأحدثكم عني  
مثلما يتحدث الديكتاتور عن سجونته".**

بلاغته هي بلاغة "الوضوح الجارح"، حيث تتحول  
"البرتقالة" إلى وحدة قياس للزمن ("عمري اثنتان وعشرون  
برتقالة قاحلة")، ويصبح "الخشب" كناية عن الجمود الإنساني.

لم يكن عنوان ديوان رياض الصالح الحسين "بسيط كالماء..  
واضح كطلقة مسدس" مجرد عتبة نصية، بل كان مانيفستو  
شعرياً يعلن فيه القطيعة مع البلاغة التقليدية المتقكرة. الوضوح

عند رياض ليس مرادفاً للسطحية، بل هو "وضوح الطلقة"؛ أي ذلك الذي يحدث أثراً فيزيائياً مباشراً في جسد المتلقي. في قصيدته "ورق"، يظهر رياض اللغة من وظائفها الأيديولوجية والبيروقراطية ليجعلها وعاءً للحب الصرف:

**"ورقة بيضاء كانت**

**ورقة بيضاء فقط**

**لم يكتب عليها العاشق رسالة**

**و لم تطبع عليها الدولة قانوناً**

**ليست هوية شخصية**

**و لا بطاقة مجانية لزيارة المعتقلات**

**ورقة بيضاء فقط**

**قدّمتها لحبيبي**

**فكتب عليها كلمة (أحبك)**

**و لم يستطع أن يقبلني!"**

في هذه "البساطة" تعقيد الفني؛ حيث يتم اختزال العالم بكل صراعاته (الدولة، المعتقل، القانون) في "ورقة بيضاء" تفشل القبلية في التحقق فوقها، لتظل "أحبك" مجرد كلمة مكتوبة في عالم محكوم بالصمت.

تميز أسلوب رياض الصالح الحسين بما يمكن تسميته "الشعرية الحسابية"، حيث يستخدم الأرقام والعمليات البسيطة (الجمع، القسمة، التساوي) لتعريف الخلل في ميزان العدالة الاجتماعية. إن استخدامه للأرقام ليس تقنياً، بل هو وسيلة لاختزال المأساة في "وحدات قياس" لا تكذب. في قصيدته "بالتساوي"، نجد هذا التقسيم العبثي للواقع:

**"الرجل الذي يريد كل شيء**

**اشترى ثلاثة خناجر**

زرع الأوّل في صدري  
و الثاني في صدري  
و الثالث في صدر حبيبي.

وفي قصيدة "أرقام"، يواجه الشاعر الوفرة المادية بالفقر المطلق للحقوق الأساسية، محولاً القصيدة إلى "بيان إحصائي" للفقْد:

"لدينا كل شيء  
مليون رغيف لمليون جائع  
مليون قبلة لمليون عاشق

...  
لدينا كل شيء  
سوى أن أغلبنا لا يملكون النقود والرصاص  
لذلك من الأفضل ألا نتفاعل كثيراً."

هذا "المنطق الرياضي" في الشعر هو الذي منح تجربة رياض وضوحاً يشبه "طلقة المسدس"؛ فهو لا يغرق في التشبيهات الاستعارية المعقدة، بل يقدم "جرده حساب" نهائية لحياة مواطن يملك كل شيء نظرياً، ولا يملك سوى موته فعلياً. تعتمد معظم قصائد رياض الصالح الحسين على "المفارقة" كأداة نقدية. يبدأ النص عادة بمقدمة هادئة أو يومية، ثم ينتهي بـ "لظمة" لوعي القارئ.

مثال ذلك قصيدة "رجل"، التي تسرد حياة إنسان كادح في جمل تقريرية بسيطة، لتنتهي بنهاية مباغته:

"كان يحمل السمك من البحار  
و القمح من الحقول  
الورد من الحدائق

و الكتب من المطابع  
و في يوم ما  
الأربعاء أو الخميس أو الجمعة  
جاءت سيّارة بيضاء  
و حملته إلى المقبرة!"

إن حيادية الأيام (الأربعاء أو الخميس..) مقابل فداحة الموت  
تعكس رؤية رياض لعبثية الوجود الإنساني؛ حيث ينتهي  
العطاء الهائل بـ "سيارة بيضاء" وصمت مطبق. هذه المفارقة  
تظهر أيضاً في ديوانه "بسيط كالماء" في قصيدة "أرقام":  
"لدينا كل شيء

سوى أن أغلبنا لا يملكون النقود والرصاص  
لذلك من الأفضل ألا نتفاعل كثيراً".

هنا تتحطم لغة الأرقام (مليون رغيف، مليون قبلة) على  
صخرة الواقع المادي، مما يجعل "النفأول" نوعاً من السذاجة  
أو الكذب الإيديولوجي الذي يحتقره الشاعر.

#### 4. الدلالات والرموز والإشارات

تتمحور دلالات رياض الصالح الحسين حول ثنائيات  
ضدية: (الماء/ الطلقة)، (الغابة/ الزنزانة)، (الطفل/ الطاغية).

- رمز "الماء": يمثل النقاء، البساطة، والسيولة التي  
لا يمكن قهرها، ولكنه أيضاً "مخيف" في حياته:  
"بسيط كالماء.. واضح كطلقة مسدّس".
- رمز "الرجل السيئ": هو قناع يرتديه الشاعر  
ليسخر من العالم الذي يعتبر "الضحية" إنساناً سيئاً  
لأنه يفسد جمال المشهد بدمائه:

"أنا الرجل السيئ  
كان عليّ أن أموت صغيراً  
قبل أن أعرف المناجم والدروب".

- دلالة "الغرفة": هي المكان الذي يتحول إلى زنزانة أو وطن بديل، وهي تكرار دلالي للضيقة الوجودي:  
"غرفة صغيرة وضيقة صالحة للبقاء  
غرفة صغيرة وضيقة صالحة للحب".

تتحول المفردات البسيطة (خبز، سكين، قبة، عشب) إلى طبقات دلالية سيميائية (الرموز، الدلالات والإشارات؛ بصرية، صوتية ولغوية)؛ فالخبز ليس طعاماً فقط بل هو "رغيف الجوع في صحن من الكريستال"، والسكين ليست أداة بل هي "مشروط لاقتلاع جلدة الرأس".

لم تكن الغرفة في شعر رياض الصالح الحسين مجرد حيز مكاني، بل كانت "رحماً شعرياً" ومعادلاً موضوعياً لعزلته الحسية (الصمم والبكم). في قصيدته الاستثنائية "غرفة صغيرة وضيقة ولا شيء غير ذلك"، تتحول الجدران إلى حدود الوجود، حيث يمارس الشاعر "أنطولوجيا الانكفاء":  
"غرفة صغيرة وضيقة صالحة للموت  
غرفة صغيرة ورطبة لا تصلح لشيء

...

أخلع ثيابي وأنام  
أخلع فمي وأتكلم  
أخلع قدمي وأقوم بنزهة تحت غبار السرير  
مفتشاً عن بقايا أطعمة وقطط تحبُّ المداعبة."

تتكرر مفردة "الغرفة" في أعمال رياض كحيز مكاني

يعكس العجز الجسدي والحصار السياسي، لكنها تتحول في الوقت ذاته إلى مختبر للحرية المطلقة. في غرفته، يمارس رياض "تفكيك الذات" ليعيد تركيبها بعيداً عن أعين الرقباء. في قصيدة "غرفة صغيرة وضيق ولا شيء غير ذلك"، نجد هذا التماهي بين الضيق المادي والاتساع الخيالي.

هنا نلمس "سريالية الفقراء"؛ حيث يصبح "خلع الفم" للتمكن من الكلام مفارقة حادة تعبر عن القمع السياسي والحسي معاً. الغرفة عند رياض هي المكان الذي يتصالح فيه مع "الاجدوى" الخارج، وهي المنصة التي يرى من خلالها العالم بوصفه "غرفة ضخمة" يسكنها المشوهون:

"اليوم مساءً وكحصانٍ مقطوع الرأس

عدت إلى الغرفة

الغرفة الصغيرة الضيقة

و بلطة ضخمة من الصراخ تنمو تحت أظفاري".

إن نمو "الصراخ تحت الأظافر" صورة شعرية عبقرية تكثف حالة الكبت؛ فالصوت الذي لا يخرج من الحنجرة يتحول إلى أداة حادة (بلطة) تنبت في أطراف الجسد، محولة العجز إلى طاقة تدميرية كامنة.

هذا "الخلع" للأعضاء (الفم، القدم) هو استعارة للتحرر من القيود البيولوجية والاجتماعية. الغرفة عند رياض هي المكان الوحيد الذي يصبح فيه "أمة مضطهدة" أو "نهرًا مكسوراً"، هي "شهادة ولادته" و"مكان تشريحه" في آن واحد.

يبرز الجدار في أعمال رياض الصالح الحسين كعائق أنطولوجي وسياسي، بينما تمثل النافذة إمكانية التحرر المستحيلة. في قصيدة "الجدار"، يربط بين البناء المادي وبين

السجن النفسي:

"لقد صنع عالماً صغيراً  
بأربعة حواجز وسقف وأرض مغطاة بالإسمنت  
لرجل أو امرأة أو طفل مثلي  
أربعة حواجز وسقف وأرض مغطاة بالإسمنت!".

تكرار الجملة الأخيرة يعكس ضيق الخيارات؛ فالعالم ليس سوى "إسمنت" يحاصر الكائن، وهذا ما يجعل الشاعر يطالب في نصوص أخرى بـ "فتح نافذة في كل جدار"، ليس للرؤية فحسب، بل "لوضع جدار في وجه من يغلقون النوافذ".

يلجأ رياض في ديوانه الأخير "وعل في الغابة" إلى عقد مقارنات قاسية بين الجمادات التي تمتلك صفات إنسانية، وبين البشر الذين تحولوا إلى "جدران". في قصيدة "الجدار"، يشرح كيف يمكن للمرء أن يتحول إلى مادة كتيمة لا ترد الصدى:  
"هكذا تماماً.."

يتحوّل بعض البشر إلى جدران  
قاسية وكتيمة كما ينبغي..  
لكن من المتعذر تماماً  
أن تقول للجدار: يا صديقي  
فيرد عليك: يا أخي."

في المقابل، نجد الأشياء (الدراجة، الخنجر، الثوب الأزرق) في قصائد الموتى تمتلك ذاكرة وحنيناً، بينما البشر الأحياء في "الأعلى" هم من اخترعوا "مافيا السلام" و"أجهزة اللاسلكي" التي تعطل التواصل الإنساني الحقيقي.

تتحول "الغرفة" في شعر رياض الصالح الحسين من حيز مكاني ضيق إلى فضاء وجودي شاسع، فهي المختبر الذي يُعاد

فيه تشريح العالم والذات. في قصيدته "غرفة صغيرة وضيقاً ولا شيء غير ذلك"، تصبح الغرفة وطناً بديلاً للمنفى، ومكاناً صالحاً لكل التناقضات البشرية:

"غرفة صغيرة صالحة للحياة  
غرفة صغيرة وضيقاً صالحة للموت  
غرفة صغيرة ورطوبة لا تصلح لشيء

...  
و منذ أن أصبح الوطن قبراً  
و منذ أن أصبح القبر كتاباً  
و منذ أن أصبح الكتاب معتقلاً  
و منذ أن أصبح المعتقل حلاًماً  
و منذ أن أصبح الحلم وطناً  
بحثت عن غرفة صغيرة وضيقاً  
أستطيع فيها التنفُّس بحريّة."

هذا التدرج السردي يعكس ضيق الخيارات أمام الشاعر، حيث تتحول الغرفة إلى الرئة الوحيدة المتبقية في جسد العالم المريض. إنها "غرفة" ليست للسكن بقدر ما هي "للتشريح والإبادة"، حيث يعترف رياض:

"كم عمرك؟  
غرفة صغيرة ضيقة.  
ما هي الأرض؟  
غرفة صغيرة ضيقة."

في قصيدة "ثورة صغيرة"، يسحب رياض مفهوم "الثورة" من الساحات الكبرى والبيانات العسكرية ليحصرها في حيزه الشخصي (الغرفة). الثورة عنده تبدأ من تغيير تموضع الأشياء المألوفة كفعل تمرد ضد الرتابة والقمع:

"سأقوم بثورة صغيرة  
في هذه الغرفة السوداء..  
و أضع الكرسي مكان المدفأة..  
أضع رأسي فوق الوسادة  
أغض عيني على حلم متوحش."

هذا النص يكرس مفهوم "السياسة اليومية"؛ فالفعل الثوري بالنسبة لرياض هو "تمزيق الصور القديمة" و"الحلم المتوحش" تحت وسادة الفقر. إنه اعتراف بهزيمة الثورات الكبرى والبحث عن "خلاص فردي" يمتلك فيه الشاعر سلطة تحريك الكرسي على الأقل.

يرصد رياض تحول الإنسان إلى ترس في آلة "الروتين" الذي يفرغ الحياة من معناها. هو يرى "القهوة مع الحليب" ليست طقساً صباحياً ممتعاً، بل هي تكرار يسبق الموت البطيء. في قصيدة "روتين"، يختزل حياة الموظف/الإنسان المعاصر في دائرة مغلقة:

"القهوة مع الحليب في الصباح  
قبلة الزوجة السريعة  
الطريق إلى العمل  
الطريق إلى البيت  
الطريق إلى السرير  
و من ثم..  
القهوة مع الحليب في الصباح."

## 5. الوجود الموت والكتابة

في ديوانه الأخير الذي صدر بعد رحيله، نلاحظ تحولاً في البنية الشعرية نحو "القصيدة الومضة" الأكثر تكثيفاً، حيث

يتراجع الصخب الاحتجاجي ليحل محله "تأمل جنائزي" هادئ.  
الموت في هذا الديوان ليس عدواً خارجياً، بل هو "رفيق  
غرفته".

في قصيدة "الخنجر"، نجد تصالحاً غريباً مع أدوات القتل:  
"الرجل مات"

الخنجر في القلب  
و الابتسامة في الشفتين

...

يبتسم الرجل الميت  
و يربت على قبضة الخنجر  
الخنجر صديقه الوحيد".

هذا النص يجسد "الفانتازيا السوداء"؛ فالقتيل يربت على  
خنجره، مما يعني وصول اليأس إلى مرحلة "الاستئناس  
بالعدم". هنا تتحول "العظام" إلى أداة تدوين، ويصبح "القبر"  
مرسماً. هذه الروح الارتدادية تجعل من الموت "احتجاجاً  
جمالياً". وفي قصيدة "الخنجر"، نجد سخرية سوداء من مفهوم  
العداء؛ فالميت يصادق الأداة التي قتلته.

هذه الاستعارة تعكس "العدمية الوديعه" التي وصل إليها  
رياض؛ حيث يتصالح الضحية مع "أثر الجلاد" لأن البديل هو  
الوحدة المطلقة في عالم "الذين في الأعلى". وفي قصيدة  
"كتابة"، يربط رياض بين الفناء والإبداع برابط عضوي:

"بريشة من العظام  
و حبر من الطمي  
يكتب على جدران قبره  
قصائد وروايات وقصصاً

...

يكتبُ

ربما

لأن الكتابة فعل حياة."

لقد استطاع رياض في أيامه الأخيرة أن يجرد الموت من رهبته الميتافيزيقية" ويحوّله إلى تفصيل من تفاصيل "الأساطير اليومية". هو لا يخاف الموت لأنه يعتبر حياته أصلاً "موتى متراكمين": "قطع من الموتى في فمي".

في القسم الأخير من أعماله، وتحديداً في قصائده عن الموتى ضمن ديوان "وعلى في الغابة"، يتكرر رياض الصالح الحسين رؤية مغايرة للموت؛ فهو ليس "عدماً" أو "صمماً" أبدياً، بل هو حالة من الاستمرار الوجودي لممارسة الأفعال التي عجز عنها الكائن في حياته الفوقية. الموتى عند رياض يمارسون "الهوايات" و"الحب" و"التنزه"، وكأن القبر هو المساحة الوحيدة التي لا يطالها القمع السلطوي. في قصيدة "كتابة"، يمنح الشاعر للميت وظيفة مقدسة.

في قسم "قصائد عن الموتى" من ديوان "وعلى في الغابة"، يقدم رياض رؤية "كارنفالية" للموت، حيث يمارس الموتى حياتهم السابقة بحرية أكبر، بعيداً عن الرقابة والقوانين. في قصيدة "الدراجة"، نرى هذا القلب للمفاهيم:

"الولد فوق الدراجة

سعيداً، ضاحكاً، منتشياً

يدور في فناء قبره.

(حينما كان حياً

سقط عن الدراجة ومات)."

المفارقة تكمن في أن "السعادة" و"الانتشاء" لا يتحققان إلا

في "فناء القبر". الموت عند رياض ليس نهاية، بل هو "اعتياد" جديد، وتكملة لفعل الحياة بوسائل أخرى، كأن يصنع الميت "من الجمجمة دورقاً للنبيذ".

تظهر في نصوص رياض قدرة على تحويل الأوجاع اليومية إلى فعل اعتيادي، حيث يتحول الألم من صدمة إلى مادة غذائية يتم استهلاكها للبقاء. في قصيدة "جرثومة النبع"، يصف علاقته بالمآسي بوصفها عملية بيولوجية:

**"أنا أحتفي بقدم المآسي"**

ولديّ قدرة مذهلة على هضم الأوجاع والصفعات  
الرتيبة

التي تأتيني كل صباح مع فاتورة استهلاكي  
للأوكسجين."

هذا الربط بين "الصفعة" و"فاتورة الأوكسجين" ينقل المعاناة من حيز الترف الرومانتيكي إلى حيز "الاستهلاك الضروري"؛ فالشاعر يدفع ثمن بقائه حياً عبر تلقي الصفعات وهضمها، محولاً جسده إلى "مصيدة للفراشات الهاربة" و"وكر للفئران".

تعامل رياض مع الموت بنديّة مدهشة، لم يره شبحاً مخيفاً، بل رآه "موعداً" مؤجلاً أو "جاراً" يمكن السخرية منه. في ديوانه الأخير "وعل في الغابة"، وتحديداً في قسم "قصائد عن الموتى"، تتحول جنث الموتى إلى كائنات تمتلك وعياً بأخطاء الأحياء. في قصيدة "كم هي لذيذة"، يمارس الموتى نوعاً من "الندم الجمالي":

**"الموتى عرفوا"**

ربما للمرة الأخيرة

كم هي لذيذة حياة الأحياء

...

تذكروا:

كم قبلة أضاعوا؟

كم ضوءاً أغمضوا عيونهم كيلا يروه؟

كم زهرة لم يزرعوا؟

كم كلمة طيبة لم يقولوها؟"

هذا القلب للمنظور يجعل من "الموت" مرآة للحياة؛ فالموت عند رياض ليس نهاية البيولوجيا، بل هو اللحظة التي يدرك فيها المرء فداحة التفاصيل التي لم يعيشها. الموتى عنده "ينظفون قبورهم" و"يسرحون شعرهم"، كما في قصيدة "ثوب أزرق"، ليحول الفجيرة إلى مشهد يومي هادئ.

في قسم "قصائد عن الموتى" من ديوان "وعلى في الغابة"، يتجاوز رياض رثاء الراحلين ليكتب بلسانهم، مانحاً إياهم حياةً موازية مليئة بالندم على ما فاتهم من مباحج الحياة البسيطة. الموتى عند رياض يمتلكون وعياً حاداً بما خسروه، كما في قصيدة "كم هي لذية".

هذا القلب للصورة الشعرية يجعل من الموت "درساً في الحياة". إن رياض لا يخاف الموت بقدر ما يخشى "عدم عيش الحياة" كما ينبغي. وفي قصيدة "الخنجر"، نجد الميت يبتسم لخنجره لأنه "صديقه الوحيد"، في سخريّة مريرة من الوحدة التي تتبع الإنسان حتى إلى القبر.

في القسم الأخير من أعماله، وتحديداً في قصائده عن الموتى في ديوان "وعلى في الغابة"، يتجاوز رياض الصالح الحسين الرثاء التقليدي ليخلق "سوسيوولوجيا للموت". الموتى عنده ليسوا جنثاً هامدة، بل كائنات تواصل ممارسة "أفعال

الحياة" بعثية مضاعفة. في قصيدة "الخنجر"، يتحول القبر إلى مكان للتنزه والابتسام المر:

"الرجل مات

الخنجر في القلب

و الابتسامة في الشفتين

الرجل مات

الرجل يتنزه في قبره

يبتسم الرجل الميت

و يربت على قبضة الخنجر

الخنجر صديقه الوحيد."

هذا "الأنسنة" للموت تجعل من الفجيرة فعلاً مألوفاً، حيث يصبح "الخنجر" تذكراً عزيزاً، وتصبح الكتابة على جدران القبر "فعل حياة" مستمراً رغم غياب القراء، كما في قصيدته "كتابة".

يقع الشعر الحقيقي فيما "بين" الكلمات، أو في "الكلام الأبيض" الذي لم يكتب بعد. في قصيدة "المعجزة"، يصل إلى قمة التجريد الحسي:

"وأنا أغطّ إصبعي في الماء

وأكتب على الورقة كلاماً أبيض

وأنظر المعجزة."

إن الكتابة بالماء على الورق هي التجسيد الأسمى للقصيدة التي أراد رياض كتابتها: قصيدة بسيطة كالماء، لا تُرى بالعين المجردة ولكنها تترك أثراً بلأ، قصيدة تنتظر معجزة الثورة أو الحب لتمنحها المعنى، لتظل أعماله الكاملة صرخة ضد الصمت، وضد الكلام الفائض في أن واحد.

## 6. العاطفة والنفس

عاطفة رياض هي عاطفة "اليأس المضيء". هناك مسحة جنائزية تغلف كل نصوصه، نابغة من إحساسه بدنو الأجل (بسبب مرضه بالكلية) ومن عزلته الحسية.

نبرة "الرتاء الذاتي" حاضرة لكنها ليست بكائية، بل هي "سخرية سوداء" من الوجود. يظهر ذلك في رغبته في الموت قبل أن يتلوث بالعالم:

"أنا الرجل السيئ  
كان عليّ أن أموت صغيراً  
قبل أن تفترسني الوردة".

هناك علاقة "عشق-كراهية" بين الشاعر وجسده؛ فهو يصف جسده بـ "وكر للفئران" و"مصيصة للفراشات"، مما يعكس حالة من الاغتراب النفسي عن الذات الجسدية المعتلة. وفي المقابل، نجد عاطفة إنسانية هائلة تجاه الآخرين (الفقراء، العشاق، الأطفال):

"العدالة هي أن أكل رغيفي بهدوء  
أن أذهب إلى السينما بهدوء  
أن أغني بهدوء".

تتجلى الحالة النفسية في تذبذبه بين "الطمأنينة" و"الرعب"، حيث ينظر إلى الموت "باطمئنان" في لحظة، ويصرخ "أنا جائع جائع كعصفور" في لحظة أخرى. القصيدة عنده هي أداة "بقاء" وصرخة ضد العدم.

في ديوانه الأول "خراب الدورة الدموية"، يطالعنا رياض الصالح الحسين بتوصيف صادم لنفسه: "أنا الرجل السيئ". هذا ليس اعترافاً بأثام أخلاقية، بل هو موقف وجودي

واحتجاجي ضد عالم يطالب "بالنظافة" الزائفة وسط المجازر.  
رياض يرى في بقاءه حياً، وفي وعيه المبكر بالخراب، نوعاً  
من اللؤم الذي لم يستطع تفاديه. في قصيدة "الرجل السيئ"،  
يقول:

"أنا الرجل السيئ  
كان عليّ أن أموت صغيراً  
قبل أن أعرف المناجم والدروب  
المرأة التي تغسل يديها بالعطور  
والملك الذي يزِين رأسه بالجماجم."

إنه يرفض صورة "الفنان النظيف" الذي يرسم الوردية في  
حجرة ممتلئة بالبيرة بينما العالم يغرق في دمه. بالنسبة  
لرياض، "السوء" هو ضريبة الوعي؛ الوعي الذي يجعله يرى  
"عظام الفلاحين" خلف "قلائد الفنانين". هذا التماهي مع الفشل  
والمنبوذين هو ما يمنح قصيدته شرعيتها الأخلاقية:

"أنا رياض الصالح الحسين  
عمري اثنتان وعشرون برتقالة قاحلة  
ومئات المجازر والانقلابات  
وللمرة الألف يداي مبادتان."

لطالما سخر رياض من فكرة "الشاعر الأسطوري"، متمسكاً  
بهويته الفيزيائية المحدودة والمنكسرة. هو لا يقدم نفسه كبطل  
ملحمي، بل كـ "تراكتور معطوب" أو مواطن محدد الطول  
والمواصفات. في قصيدة "167 سم"، يبرز هذا التضاد بين  
الوسامة الظاهرية والخراب الداخلي:

"أنا رجل وسيم  
طولي 167 سم  
أنا تراكتور معطوب"

أبحث عن عمل منذ ثلاثة أشهر وتوايبت

...

أيُّها الصديق الجاهل

الحبّ قطاع خاص

و لذلك علينا أن نفعل شيئاً."

هذه الاستعارات الميكانيكية (تراكتور معطوب) تعكس رؤيته لجسده كآلة معطلة في مجتمع لا يعترف إلا بالإنتاجية. الحب عنده "قطاع خاص" لأنه الملاذ الوحيد المتبقي للفرد أمام "تأميم" الدولة لكل مشاعر الفرح والحزن العام.

عاني جسد الشاعر في نصوصه من حالة "إبادة" مستمرة؛ الأيدي مقطوعة، العيون مفقوءة، والدم يسيل في كل مكان. كلمة "مباد" تتكرر لتصف ليس فقط الجيوش، بل الحواس أيضاً. في قصيدة "الرجل السيئ" يقول:  
"وللمرة الألف يداي مبادتان:  
كشجرتي فرح في صحراء..  
فمي مباد ولذا لا أستطيع أن أسرقك من البرد."

هذا العجز الجسدي (الصمم والبكم والكلية المعطلة في الواقع) يتحول شعرياً إلى تعبير عن حصار الكائن، حيث تصبح "الإبادة" قدراً يومياً يمنع الشاعر حتى من "سرقة" حبيبته من البرد، مما يضيف صبغة تراجيدية على محاولات الحب المستحيلة.

## 7. السياسي والجمالي

لم يسقط رياض في فخ "الأدلجة" المباشرة، لكنه قدّم نقداً سياسياً جذرياً من خلال "بيولوجيا الجسد". الوطن عنده ليس

حدوداً جغرافية، بل هو "دورة دموية مخربة". في قصيدة "سورية"، يقدم واحدة من أصدق وأقوى الصور الشعرية في الأدب العربي المعاصر.

لم يتعامل رياض مع "سورية" كشعار سياسي أو أيقونة مجردة، بل كعلاقة حسية مؤلمة تجمع بين الدفء والقسوة. في قصيدته "سورية"، يقدم تشريحاً عاطفياً للوطن يتجاوز الخطابة القومية:

"يا سورية الجميلة السعيدة  
كمدفأة في كانون  
يا سورية التعيسة  
كعظمة بين أسنان كلب  
يا سورية القاسية  
كمشروط في يد جرّاح  
نحن أبناؤك الطيبون  
الذين أكلنا خبزك وزيتونك وسياطك."

هذا النص يختصر جدلية العلاقة بين المواطن والوطن في زمن القمع؛ فالمواطن يأكل "الخبز" و"السياط" بذات التسليم القدرّي. إن استخدام استعارة "العظمة بين أسنان كلب" يمثل ذروة الجرأة النقدية والوجع النفسي، حيث يتحول الوطن إلى فريسة أو إلى مادة صلبة غير قابلة للهضم، ومع ذلك يظل "الوفاء" لها نابعاً من أصابع الشعراء "الخضراء" التي تجفف دمها.

هذا التذبذب بين "المدفأة" و"العظمة" و"المشروط" يعكس علاقة "المازوخية الوطنية"؛ فالانتماء هنا ليس فخراً، بل هو "ألم ضروري".

يمثل "الشارع" في جغرافيا رياض الصالح الحسين فضاءً للمفارقة؛ فهو المكان الذي تتقاطع فيه احتمالات اللقاء والموت. في قصيدة "شارع"، يفكك الشاعر وهم الحرية التي توحى بها المدن الكبيرة، معتبراً أن كثرة الطرق لا تعني بالضرورة النجاة:

"هذه مدينة مليئة بالشوارع  
شوارع مفتوحة  
تؤدي إلى جميع الجهات  
لكن، اسمعني، أرجوك  
حياتنا مغلقة."

إن هذا "الانغلاق" الوجودي في مقابل "انفتاح" الشوارع، يجعل من الزقاق الذي يؤدي إلى "الأخر" هو الملاذ الوحيد المتبقي للعدالة: "والشارع الوحيد العادل

ذلك الذي يأخذني إلى قلبك". فالعدالة هنا ليست مفهوماً حقوقياً عاماً، بل هي فعل "حسي" يختصر المسافة بين جسدين.

وفي قصيدته "نيكاراغوا"، يستخدم اسم هذا البلد البعيد كقناع ليتحدث عن حالة القمع الكوني، محولاً الجغرافيا إلى "منفضة سجائر":

"منفضة سجائر بحجم نيكاراغوا  
مجمرة طويلة ودخان كثيف

...

أسلحة في الشوارع  
أسلحة في الثلاجات  
أسلحة أثرية معلقة على الجدران  
أسلحة بيضاء مخبأة في الأحذية."

إن تغلغل الأسلحة إلى "الثلاجات" و"الأحذية" يشير إلى "عسكرة اليومي"، حيث لم يعد الموت فعلاً استثنائياً بل تفصيلاً منزلياً، وهو ما ينسجم مع رؤيته في ديوان "أساطير يومية" بأن القمع هو الثابت الوحيد في حياة المواطن العربي.

لم يكن رياض بمنأى عن نقد الواقع السياسي المأزوم، لكنه نقده بلغة "الضحية الذكية" لا "الخطيب الثوري". نلمس في ديوان "أساطير يومية" سخرية لاذعة من العبث الذي تعيشه بلدان "العالم الثالث" تحت وطأة الشعارات الكبرى. في قصيدة "جرثومة النبع"، يتحدث عن هذا التناقض الصارخ:

"سأزرع أمام كل بيت دمية للطفل المشاكس  
وأعطي صبيّة لكل فتى كئيب من بلدان العالم  
الثالث

وقيداً للقنابل النيترونية الخرقاء  
وزجاجة عطر لأمي في عيد ميلادها."

إن خلط "القنابل النيترونية" بـ "زجاجة عطر الأم" هو ذروة المفارقة عند رياض؛ حيث تتزاحم الفطاعة والجمال في حيز واحد. هذه "الجرثومة" التي أصابت النبع هي الاستبداد الذي جعل من الراتب القليل ومن قراءة المراثي الوظيفة الوحيدة المتاحة للشاعر:

"و الراتب القليل الذي أحصل عليه  
لقاء قراءة المراثي على قبور أصدقائي."

هنا يتحول الشاعر إلى "موظف مأمّم"، وهي صورة تلخص حال المثقف السوري والعربي في تلك المرحلة، حيث تحول الإبداع إلى فعل "رثاء مستمر" لواقع محكوم بالهزيمة.

امتلك رياض حسّاً نقدياً ساخرًا من السلطة، ليس من باب

الأيدولوجيا، بل من باب القرف الإنساني. في قصيدة "جندي"،  
يجرد المحارب من هالته الأسطورية ليحوّله إلى كائن  
استهلاكي وقاتل "أليف":

"في الأزمنة البعيدة

في الأزمنة القريبة

كان يرعى برسيم الحروب كخروف صغير  
حاصر المدن كما يحاصرون زوجاتهم في الفراش

...

و بمساعدة رشّاش صغير يزن 5 كغ  
اغتصب امرأة وقرية ومساحات شاسعة من  
الموسيقا."

هذه الصورة التي تجمع بين "الرشاش" و"اغتصاب  
الموسيقى" تعكس رؤية رياض للخراب الشامل الذي تسببه  
العسكرة. الجندي عنده لا يقتل الأجساد فقط، بل يغتال  
"الجمال" المعنوي. وتنتهي القصيدة بضربة ساخرة ومريرة:  
"و لم يترك -كما تعلمون-

بوليصة تأمين لأولاده"، ليؤكد أن آلة الموت لا تمنح الأمان  
حتى لمن يخدمونها.

في قصيدته الأخيرة "اعتیاد"، يلخص رياض الصالح  
الحسين جوهر فلسفته تجاه التغيير. الثورة عنده ليست شعاراً  
يهتف به في الساحات، بل هي "غياب طال انتظاره" في  
تفاصيل اليومي (القهوة، الوردة، النافذة). القصيدة تتحول من  
روتين منزلي إلى نبوءة سياسية:

"لقد اعتدّ

أن أعدّ القهوة كل صباح لإثنين  
أن أضع وردة حمراء في كأس ماء

...

لقد اعتدت

أن أنتظر أيتها الثورة."

هذا الربط بين "تحضير القهوة" و"انتظار الثورة" هو ما أعطى لشعر رياض طابعاً "إنسانياً كونياً". الثورة هنا هي "المحوبة" التي تأخرت، وهي "العدالة" التي لم تصل. إن مفهوم "الاعتیاد" في شعره هو أقصى درجات الألم؛ لأنه اعتاد على الفقد، واعتاد على صياغة الأمل من أدوات الخيبة اليومية.

يشن رياض الصالح الحسين هجوماً مبطناً على الفن الذي ينفصل عن معاناة الناس، واصفاً نفسه بـ "الرجل السيئ" في مواجهة "الفنان النظيف". في قصيدة "الرجل السيئ"، يرفض رياض التتميق الفني الذي يصنع من الوجد "قلائد وأقراط":

"أنا الرجل السيئ

كان عليّ أن أموت صغيراً

قبل أن تفترسني الوردة،

وينحت الفنان النظيف من عظامي القلائد والأقراط

الفنان النظيف والوردة النظيفة

يرسم الفنان النظيف الوردة النظيفة

في حجرة ممثلة بزجاجات البيرة والعرايا."

هذا النص هو بيان نقدي ضد "جماليات الزيف"؛ فرياض يفضل عظاماً "سيئة" وملطخة بالتراب على أن تتحول معاناته إلى "إكسسوار" في لوحة فنان برجوازي يعيش بمعزل عن "مذبحة الأبجدية".

في قصيدة "فنان.. من ديوان "وعل في الغابة"، يذهب

رياض الصالح الحسين إلى أقصى درجات "الفنتازيا الجنائزية"، حيث لا يتوقف الإبداع بالموت، بل يبدأ الفنان الميت باستخدام جسده كمادة خام للفن. هذا النص يمثل ذروة السخرية الوجودية من العدم:

**"سيصنع من سلاميات الأصابع**

**خواتم وأقراطاً**

**من الجمجمة دورقاً للنبيذ**

**من العمود الفقري صحنواً وأكواباً".**

رياض هنا لا يكتب عن الموت بوصفه نهاية، بل بوصفه "مشغلاً فنياً"؛ فالجسد الذي كان يعاني من "خراب الدورة الدموية" يتحول بعد الموت إلى أدوات زينة وطعام. إنه نقد مبطن للمجتمع الذي لا يستفيد من المبدع إلا بعد تحوله إلى "أيقونة" أو "جثة" قابلة للاستهلاك.

يطرح رياض في قصيدة "الذئب" معادلة وجودية معقدة حول "التماهي مع القاتل" كضرورة للبقاء. الشاعر الذي بدأ مسيرته بـ "الرقعة" و"البساطة"، ينتهي باكتشاف أن "الذئب" لم يفترسه فحسب، بل استوطن داخله:

**"الذئب الذي افترسني**

**صار أنا..**

**و ظل محتفظاً بأنيابه**

**أنا الذئب**

**نو اليد البيضاء".**

هذه "اليد البيضاء" الملحقة بـ "الأنياب" هي استعارة مذهلة لتمزق الإنسان المعاصر بين براءته الفطرية وبين الشراسة التي يفرضها عليه واقع الغابة المدنية. رياض هنا لا يدين الذئب، بل يعلن انضمامه القسري لنادي "القتلة" دفاعاً عن

وجهه الشاحب وقلبه الطيب.

يسيطر هاجس "الغد" على نصوص رياض الأخيرة، وهو غد مشوب بالخوف والترقب، ليس بوصفه زمناً للتحقق، بل بوصفه فحاً جديداً. في قصيدة "غداً"، يفكك الشاعر وهم الانتظار:

"عشرة آلاف غد  
خرجت من حياتي البارحة  
و ما زلت أقول غداً..  
الغد يتحول إلى (اليوم)  
اليوم يصير (البارحة)."

هذا الدوران العبثي في حلقة الزمن يعكس خيبة الأمل من التغيير. ومع ذلك، يظل رياض "ينتظر بلهفة الغد الجديد"، لا لأنه يثق به، بل لأن "الأصابع التي تربت على كتف العطش" لا يمكن أن تأتي إلا من غدٍ لم يتلوث بعد بـ "البارحة".

في عالم يضج بالخطابات والضجيج، يبرز "الصمت" عند رياض كقوة تهديد غير مفهومة للسلطة والمجتمع. في قصيدة "الصمت"، يرسم مشهدية لرجوع العمال والنساء من الحقول، ثم يتوقف عند الشخصية "الصامتة" التي تثير القلق:

"غير أن رجلاً ما  
ظلّ جالساً في الزاوية البعيدة  
البندقية بين يديه كأفعى..  
الرجل الذي ينظر بصمت..  
اللئيم  
ما الذي يفكر فيه؟"

الصمت هنا ليس استسلاماً، بل هو "تفكير لئيم" (بمعنى

المكر الشعري أو الثوري)؛ فالبنديقية التي تشبه "الأفعى" توحى بأن هذا الصمت هو سكون ما قبل اللدغة، وهو ما يجعل السلطة تخشى "الذي لا يحلم ولا ينام" بل يكتفي بالمراقبة.

## 8. بلاغة الرفض والبحث عن الحقيقة

كان رياض يدرك أن الشعارات الكبيرة هي التي قادت العالم إلى المذابح، لذا نجد في ديوانه "بسيط كالماء.. واضح كطلقة مسدس" انحيازاً تاماً للكلمة "العارية". في قصيدة "لا شك بذلك يا ديكارت"، يهدم الشاعر "مبدأ ديكارت في التفكير والوجود؛ الكوجيتو" الفلسفي ليبنى مكانه "يقين الجوع":

"لا أشك مطلقاً

بالسكين التي تقطع اللحم  
والمطر الذي يقطع العطش

...

ولكن ما أشك فيه  
يا ديكارت المجنون  
بأن أكذوبة وأكذوبة  
و بنائية فوق بنائية  
و مستنقعاً قرب نهر...  
يساوي ثورة!"

هذا التشكيك في المفاهيم الإيديولوجية الجاهزة هو ما جعل تجربة رياض الصالح الحسين تتجاوز زمنها. هو لا يؤمن بالثورات التي لا تبدأ من "رغيف الخبز" و"عدالة القبلة". الكلمة عنده يجب أن تكون أداة وظيفية:

"أريد أن تكون الكلمة  
شجرة أو رغيفاً أو قبلة

أريد لمن لا يحب الشجر  
و الرغيف  
و القبلة  
أن يمتنع عن الكلام".

هذا "البيان الشعري" يضع حداً فاصلاً بين "شعر الانفعال" و"شعر الفعل الوجودي". إن "الامتناع عن الكلام" عند رياض هو عقوبة لكل من لا يقدر قدسية الأشياء البسيطة، وهو موقف أخلاقي صارم تجاه اللغة.

بالرغم من غزارة نتاجه قياساً لعمره القصير، كان رياض مسكوناً بهاجس "كذب اللغة". في مقاطعه الشعرية، يميل إلى الصمت كفعل صدق وحيد في عالم مليء بـ "ألسنة الخطباء". في قصيدة "مقاطع"، يضع يده على الجرح المعرفي للشاعر الحديث:

"من أكاذيب الكلام  
من أكاذيب الروائح  
من أكاذيب الأصوات  
من أكاذيب العالم  
الكذبة الوحيدة التي تستحق التصديق  
هي الحب."

هذا الموقف الجذري من "الكلام" هو ما دفع رياض لابتكار "قصيدة النثر اليومية" التي تخلص من الزخرف البلاغي، محاولاً أن يجعل الكلمة "رغيفاً أو شجرة أو قبلة"، لأن ما دون ذلك هو محض "ضجيج" يخدم "الخطابين الأشرار".

ينزع رياض الصالح الحسين عن مفهوم "العدالة" رداءه القانوني والأيديولوجي الثقيل، ليعيده إلى بساطته الإنسانية

الأولى. العدالة عنده ليست في المحاكم أو الدساتير، بل في التفاصيل الصغيرة التي يسرقها القمع. في قصيدته "العدالة"، يقدم بياناً شعرياً لهذا المفهوم:

"العدالة هي أن أركض مع حبيبي  
في أزقة العالم

دون أن يسألني الحراس عن رقم هاتفي  
أو هويتي الضائعة

العدالة هي أن ألقى بنفسي في البحر الشاسع  
و أنا واثق بأن أحداً لن يمسكني من أذني  
و يقودني - مرة ثانية إلى القبر."

إن العدالة في قاموس رياض هي "الحق في الانتحار بلا ضجيج" و"الحق في أكل الرغيف بهدوء". إنه يواجه "عدالة السلطة" التي تغسل جسد العالم بـ "أحجار القوانين" كما في قصيدة "كهنة بشوارب طويلة"، بعدالة "عنب الحرية" التي يطالب بها الجميع.

تتحول الرغبات عند رياض من مطالب كبرى إلى تفاصيل متناهية الصغر، لكنها في جوهرها تمثل قمة التمرد على القبح. في قصيدة "رغبات"، يطرح الشاعر "يوتوبيا" متواضعة لكنها مستحيلة في ظل واقع الزنازين:

"أريد أن أضع بحراً  
في الزنزانة

أريد أن أسرق الزنازين  
و ألقها في البحر."

إن فعل "سرقة الزنازين" هو ذروة الخيال الشعري الذي يحول الأداة القمعية (السجن) إلى جسم مادي يمكن التخلص منه في "البحر" (رمز الحرية اللانهائية). هذا النوع من

"السحر" هو ما يسميه الشاعر "الأغنية البيضاء" التي تخرج من قبعة الساحر بدلاً من السكاكين.

## 9. الحب والمرأة والأم والسلطة

في نصوصه الأخيرة، يتعد رياض عن "الرومانسية الغنائية" ليقدم تعريفات إجرائية وقاسية للحب، تبدأ غالباً بالذني لتنتهي بإثبات الوجود. الحب عنده ليس "ترياقاً" بل هو "مواجهة". في قصيدة "الحب"، يفرغه من محتواه الاستهلاكي:  
"الحب ليس غرفة للإيجار  
نتركها ببساطة ونرحل

...  
الحب ليس حبة أسبرين  
نتناولها عندما نشعر بالصداع

...  
الحب..  
شهادة ولادة دائمة  
نحملها برأس مرفوع  
لنخترق شارع المذبحة."

إن ربط "الحب" بـ "شارع المذبحة" هو التكتيف الأخير لتجربة رياض؛ فالحب ليس نزهة، بل هو "الأداة الوحيدة" التي تمكن الإنسان من العبور وسط الرصاص دون أن يفقد إنسانيته.

يصل رياض في قصائده المتأخرة إلى مرحلة "الطول" في الأشياء، حيث لا ينفصل جسده عن أدوات معيشته. في قصيدة "دائماً"، يماهي بين نفسه وبين أدق تفاصيل وجود المحبوبة:  
"أنا الهواء في رنتيك"

و الأزرار في قميصك..  
أنا الغبار من حولك  
و العرق الذي يسيل من مسام جسدك."

هذا الالتحام يخرج بالحب من إطاره العاطفي إلى إطار  
"فيزيائي"؛ فالشاعر يريد أن يكون "الأزرار" و"الغبار"  
و"العرق"، وهي عناصر هامشية لكنها ملتصقة بالجسد أكثر  
من الكلمات، مما يعزز فكرة "البساطة" التي لا تترك مسافة  
بين الأنا والآخر.

في "أساطير يومية"، يعيد رياض صياغة مفهوم  
"الأسطورة"؛ فهي لم تعد تتعلق بالآلهة الإغريقية، بل بتفاصيل  
الحياة الرتيبة التي تتحول إلى قدر محتوم. قصيدة  
"الوقت/القبلة" تختزل هذا المنزع:

"ثمّ اكتشفت، فيما بعد، أنّ الأرض كروية  
ففكرت بوجود بعض الأمكنة  
لا يبتلع فيها الماء شيئاً..  
على سبيل المثال:  
ثمّة رجل يقبل امرأة  
دون أن ينظر إلى ساعته."

الأسطورة هنا هي القدرة على "إيقاف الزمن" عبر القبلة،  
في عالم "كروي" يبتلع كل شيء. هذا التضاد بين "مثلث  
بيرمودا الواسع" وبين "اللحظة الحميمة" هو جوهر الصراع  
في عالم رياض الشعري.

يقوم عالم رياض الصالح الحسين على تضاد حاد بين أدوات  
الحب وأدوات الفناء. إنه يضع "الوردة" في مواجهة "السكين"،  
و"القبلة" في مواجهة "المجزرة". هذا التضاد ليس مجرد زينة

بلاغية، بل هو جوهر موقفه الأخلاقي من الوجود. في قصيدة "قصائد عن الموتى" و"غرفة الشاعر"، يحذر رياض من هذا الاختلاط بين الرموز:

"و بعد قليل

سوف يداهمه الشرطيّ

ليسأله عن جمل غامضة

و يحذره من استعمال "القُبلة" و"القنبلة"

و يمضي.."

إن اقتران "القُبلة" بـ "القنبلة" صوتياً ودلالياً في شعره يشير إلى أن الحب في زمن الحرب هو فعل تفجيري، فعلاً يهدد استقرار "الشرطي" و"الديكتاتور". الجمال عند رياض "شرس" و"مفترس"، لأنه القوة الوحيدة القادرة على فضح "خراب الدورة الدموية".

المرأة عند رياض الصالح الحسين ليست "مُلهمة" بالمعنى الرومانسيكي التقليدي، بل هي شريكة في "الخراب" وفي "الرغيف". هي "الأنسة س" التي تبيع العلكة، وهي "هيلين" التي تخرج من خنادق الألم. في قصيدة "أقمطة ونيانثين"، تظهر المرأة كشاهدة على التاريخ العنيف، وكضحية له في آن واحد:

"المرأة التي عبرت المجنزرات بين نهديها

كسرب من النوارس البيضاء

كانت تقول لي أيضاً وهي تنتحب بانفطار:

هل جعلوا من قلبك منفضة لرماد سجائرهم؟"

في هذه الاستعارة (المجنزرات بين النهدين) يتم انتهاك الجسد الأنثوي (رمز الحياة) من قبل الآلة الحربية. وفي قصيدة "الرجل السيئ"، نجد المرأة هي "المرأة" التي تكشف وجع

القارات، لكنها تظل عاجزة أمام قدر الشاعر المحتوم:  
"قالت: عينك مرأتان لخمسين قارة من الوجد  
والانتظار..

وأنا أدفئك في ليالي تشرين الباردة  
وأرسل إليك الأحلام الشاسعة والمكاتب  
فماذا تطلب غير ذلك؟!..!"

تظهر "الأم" في نصوص رياض كرمز للأرض، والعطاء،  
والملجأ من عبثية العالم النيتروني. هي الشخصية التي لا  
تطالب بشيء سوى بقاء ابنها حياً. في قصيدة "أيام"، يخاطب  
أمه بنبرة تجمع بين الحنين والواقعية المريرة:  
"ماما.."

امسحي دموعك بمنديل الجبل  
و نظفي بارودة جدي بخرقة الأيام  
فبعد فترة سأعود إليك  
و في حقيبتني:  
زجاجة عطر  
و قليل من الرصاص."

الأم عند رياض هي "الشجرة التي لم تثمر غيره"، وهي  
التي يرسل إليها "البحار والأشواق" بالبريد المضمون في رأس  
السنة (قصيدة هيروشيما). إنه يرى فيها النقاء الوحيد في عالم  
ملوث، ويخشى عليها من "أوكسجين العبودية" وفضائل  
الإرهاب، فيحاول دائماً حمايتها بـ "حطب قلبه المهيباً  
للاشتعال".

يمتلك رياض قدرة فريدة على تحويل "الأشياء المهملة" إلى  
شهود عيان على مأساة الغياب. في قصيدة "مشاهد يومية"،  
وتحديداً في مقطع "البيت"، يرسم مشهد "الفقد" من خلال

مقتنيات المرأة المفقودة:

"حذاؤك في الزاوية"

ثوبك فوق الكرسي

و فوق المنضدة دبائيس شَعْرِكِ..

و أنت معي

عارية وخائفة".

الحذاء والثوب والدبائيس ليست مجرد أثاث، بل هي "جسد بديل" للمرأة التي غابت. رياض يجعل من "الخاتم الذهبي" و"الحقيبة السوداء" عناصر درامية تشارك الشاعر في "رغيف الحب". الغياب عنده لا يُعالج بالنسيان، بل بـ "الاعتیاد" على إعداد القهوة لشخصين، رغم أن "القهوة بردت وما جئت".

## 10. رمز وخلاصة نهائية

يمثل "الوعل" في ديوان رياض الأخير "وعل في الغابة" الكائن الذي يجمع بين الجمال والضعف، بين الرغبة في الانطلاق وخطر الاقتراس. الوعل هو "رياض" نفسه، وهو كل إنسان يحاول أن يحافظ على نضارته في "غابة" الموتى. في قصيدة "كنجمة في السماء كوعل في الغابة"، نجد هذا الإصرار على "المشي" رغم الانهيار:

"أمامي الكثير لأعطيه

وخلفي الكثير للمقابر..

و ها أنذا أمشي وأمشي

متألقاً كنجمة في السماء

و حُرّاً كوعل في الغابة

...

فلقد بدأت أعلم

- و ربما متأخراً قليلاً.  
أن آلاف الحروب وملايين الجرائم  
لم تستطع منع القطة من المواء عندما تجوع  
و الوردة من أن تفتح."

إن هذه "الحكمة المتأخرة" هي اليقين بأن تفاصيل الحياة  
الصغيرة (مواء القطة، تفتح الوردة) هي التي تنتصر في  
النهاية على "الجرائم" الكبرى. رياض يؤكد هنا أن المقاومة  
ليست دائماً فعلاً عنيفاً، بل قد تكون مجرد "استمرار" في  
المشي بقلب "مفتوح كنبع صغير".

يكتمل التحول نحو "التوحش الوديح". الوعل هو الرمز  
الأخير لرياض؛ كائن جميل، سريع العطب، ومطارد دائماً. في  
قصيدة "كنجمة في السماء كوعل في الغابة"، نجد الوصية  
الأخيرة.

ينتقد رياض الحداثة التي حولت الكائن إلى "رقم" استهلاكي  
أو جثة قابلة للإحصاء. في قصيدة "الكلمة الأخيرة"، يسرد  
قائمة طويلة من المتناقضات التي تشغل باله، رابطاً بين  
القضايا السياسية الكبرى وبين التفاصيل التافهة:  
"عن جدول ضرب الموتى وعمليّات تقسيم  
الجثث..

كتبت وكتبت وكسرت الأقلام  
أقلام زهيدة الثمن كراسي..  
إنّ قلبي الآن يريد أن يفرّ من قفصه الصدري  
ليبحث عن عمل ورغيف أبيض."

إن تشبيه الرأس بالقلم "زهيد الثمن" يعكس مرارة الشاعر  
تجاه انخفاض قيمة الإنسان في بورصة الصراعات، حيث

يتساوى ثمن أداة الكتابة مع ثمن "رأس" المفكر أو الشاعر.  
غادرنا رياض الصالح الحسين، وهو يبتسم بـ "أسنان بالية"  
في وجه القبح، تاركاً خلفه لغةً تشبّهه: بسيطة كحبة قمح،  
وخطيرة كطلقة في قلب الصمت. إن رياض لم يمت بفشل  
كلوي فحسب، بل مات لأن قلبه كان "مفتوحاً كبستان" في زمن  
كانت فيه القلوب "خنادق محصنة".

## 11. الخلاصة

رياض الصالح الحسين هو شاعر "الحدائث الحافية"؛ الذي  
خَلَص قصيدة النثر السورية من التجريد الذهني البارد،  
وأدخلها في "مختبر الدم اليومي". إن قوة نصوصه تكمن في  
"هشاشتها"؛ فهي قصائد تبدو سهلة الكسر لكنها قادرة على  
اختراق الذاكرة مثل "طلقة مسدس".

لقد ترك رياض إرثاً يؤكد أن الشاعر ليس بوقاً للحقيقة، بل  
هو "لص الأزقة الخرساء" الذي يحمل "مفاتيح بيضاً للسلام،  
وحمراً للثوار، وزرقاً للعشاق"، حتى وإن ضاع مفتاحه  
الخاص تحت الوسادة، فإنه ظل يوزع "الحب من خلال  
القصيدة" حتى النفس الأخير.

إن تجربة رياض الصالح الحسين تظل فريدة لأنها "تجربة  
مخبرية" في الألم الصافي. لم يحتاج رياض إلى السفر أو  
خوض الحروب المباشرة ليكتب عن "خراب الدورة الدموية"؛  
بل استنطق جدران غرفته الرطبة وراقب "العالم من ثقب  
الباب". لقد حول عجزه الحسي (الصمم والبكم) إلى "قوة  
رؤيوية" مذهلة، فاستبدل الكلام بالرسم بالكلمات، واستبدل  
السمع بتحسس نبض الأشياء.

في مقاطعه الشعرية، يميل إلى الصمت كفعل صدق وحيد في عالم مليء بـ "ألسنة الخطباء". في قصيدة "مقاطع"، يضع يده على الجرح المعرفي للشاعر الحديث:

"من أكاذيب الكلام

من أكاذيب الروائح

من أكاذيب الأصوات

من أكاذيب العالم

الكذبة الوحيدة التي تستحق التصديق

هي الحب."

هذا الموقف الجذري من "الكلام" هو ما دفع رياض لابتكار "قصيدة النثر اليومية" التي تخلو من الزخرف البلاغي، محاولاً أن يجعل الكلمة "رغيفاً أو شجرة أو قبلة"، لأن ما دون ذلك هو محض "ضجيج" يخدم "الخطابين الأشرار".

إن رياض الصالح الحسين، الذي مات في الثامنة والعشرين، ترك خلفه "أعمالاً كاملة" تشكل كمرجع لقصيدة النثر العربية في أصفى تجلياتها: "بسيطة، واضحة، وقائلة". وكما قال في قصيدته "الكلمة الأخيرة"، فإنه لم يحتفظ بشيء لنفسه سوى هذا القلب الذي يفر من قفصه الصدري بحثاً عن رغيف وفتاة وغرفة:

"كتبت وكتبت ولم أحتفظ إلا بقلبي

قلبي الذي أخبته قبل أن أنام تحت وسادتي

إنه الآن يريد أن يفر من قفصه الصدري

ليبحث عن عمل ورغيف أبيض

و فتاة ينام معها في غرفة صغيرة."

لقد وجد رياض "غرفته" أخيراً في ذاكرة الشعر العربي،

حيث لا تزال كلماته "تطن كطلقة مسدس" في سكون الضمير الإنساني.

يظل رياض الصالح الحسين الشاعر الذي "غدر" بالشعر التقليدي عبر تبسيطه إلى حد القتل. لغته التي تبدو "بسيطة كالماء" هي ذاتها التي تنفجر "كطلقة مسدس". لم يكن رياض يكتب ليُعجب النقاد، بل كان يكتب "ليتنفس بحرية في غرفة ضيقة". إن أهمية رياض تكمن في أنه جعل من "الأشياء الصغيرة" (ممحاة، قلم رصاص، علبة كبريت، حذاء قديم) أبطالاً لتراجيديا كونية.

لقد استطاع، وهو "الأصم" الذي لم توقف عن سماع ضجيج العالم في بداية مراهقته، أن يسمعا "طنين الصمت" في غرفنا، وأن يجعلنا نتحسس "خمس قارات من الوجد" في كل مرة نلمس فيها رغيف خبز أو يد حبيبة. وكما قال في قصيدته "يدك":

**"خمس قارات مغلقة**

**تنتظر أصابع يدك الخمسة**

**خمس قارات مفتوحة تنتظرني**

**عندما أضم أصابع يدك الخمسة."**

بهذا الانفتاح على العالم من خلال "اللمس" و"الرؤية"، ختم رياض الصالح الحسين دورته الدموية، مخلفاً وراءه "وعلاً" لا يزال يركض في غابة الشعر العربي، حراً، متألقاً، ووحيداً.



# خرابُ الدّورةِ الدّمويّة



إلى الدنيا والناس



## دخان

---

كئيباً ومنفتحاً كالبحر، أفق لأحدتكم عن البحر  
مستاءً وحزيناً من الدنيا، أفق لأحدتكم عن الدنيا  
متماسكاً وصلباً ومستمرّاً كالنهر،  
أفق لأحدتكم عن النهر  
و عندما يصبح للنافذة عيانان تريان يأسى  
و للجران أصابع تتحسّس أضلاعي  
و للأبواب السنة تتكلم عني  
و عندما يصبح للماء طعم الماء  
و للهواء نكهة الهواء  
و للحبر الأسود هذا رائحة الحبر  
و عندما تُهيئ المطابع الأناشيد للقراء بدلاً من الحبوب  
المنومة  
و تُهيئ الحقول القمح بدلاً من الأفيون  
و تُهيئ المصانع القمصان بدلاً من القنابل...  
سأقف، أيضاً، سأقف لأحدتكم عني

لأحدتكم عن الحبّ الذي يغتال المرآثي  
عن المرآثي التي كانت تفتح دفترها الملكي  
لتسجّل أسماءكم في قائمة القتلى  
عن القتلى المتشبهين بالضمّاد والميكرو كروم  
الذي لم يأت  
و ساقف، أيضاً، ساقف  
لأحدتكم عنّي  
مثلاً يتحدّث الديكتاتور عن سجونهِ  
و المليونير عن ملايينهِ  
و العاشق عن نهدي حبيبته  
و الطفل عن أمّه  
و اللصّ عن مفاتيحه  
و العالم عن حكّامهِ  
سأحدتكم بحبّ، بحبّ، بحبّ  
بعد أن أشعل سيجارة!

## الرجل السيئ

---

"الموت!

فن، ككل شيء آخر

و أنني أتقنه تماماً"

سيلفيا بلاث

و أذكر أنّ المرأة الزرقاء

عندما رأته أبكي جثثاً وفقراء

قالت: عيناك مرأتان لخمسين قارّة من الوجد

والانتظار

و قالت المرأة التي ترتدي العاصفة والوحوش:

أنت تعرف الكثير عن صبايا الأزقة المغلّفات

بالأفقال البلاستيكية الملونة

و الأطفال الأغبياء المتمسّكين بالأحصنة الخشبيّة

و نهود الأمّهات

و قالت المرأة بعد أن فتحت شاشتي عينيها:

(كان ثمة عاشق يرعى فيهما شجراً ومعتقات)

يداك قاسيتان ووديعتان

و أصابعك نحيفة ومعذبة

فهل لمست بهما الرغيف الثمين

أو الشفاه الرمادية المرتعشة؟

هل قبضت على العالم؟

و قالت المرأة لي:

أنت تهذي كثيراً بأسماء الأسماك والأعشاب البحرية

و تفتح مملكة دماغك ليل نهار لقوافل العجر التائهة

و تمزق بأظفرك لحم الأبواب والجدران السميقة

فأيّ الأشياء أحبّ إليك:

أن تمضغ بشراسة رؤوس العصافير؟

أو أن تكسّر الصحون والموائد المصنوعة

من خشب الجوز؟

و قالت لي أيضاً

و هي تنظر إلى الرأس

المشوّه المتوتّر في لوحة لسعد يكن:

أمك بجانبك تنحني عليك كيمامة

و أصدقاؤك يقبلون في المناسبات  
و أنا أدفنك في ليالي تشرين الباردة  
و أرسل إليك الأحلام الشاسعة والمكاتيب  
فماذا تطلب غير ذلك؟!..  
أتريد أن تفجّر النبع؟ أم تودّ أن تحرث المجرّة؟  
و قالت المرأة القاسية:  
أبتكر لك الدنيا..  
خمسة جدران بيض  
و سريراً أبيض  
و وردة بيضاء في كأس:  
و كان يمكن أن أبتكر نعشاً  
- أنا الرجل السيئ -  
لفاطمة العنيفة ونزيه الخائف والبحر التعيس  
للأقفال الكريستالية السوداء.  
للقرى الصاخبة بالعنب والديوك والبطون المقعرة  
للأغاني الممزقة في سلة المهملات  
للمعاملات العقارية المبطنة بالأختام  
لحبوب الأسبرين والعشاق

لمصارعي الثيران الأذكىاء في إسبانيا  
للمجرفة الصلبة والفلاح الرقيق  
للدّم الأخضر ومرترقة الانقلابات  
أنا الرجل السيء  
كان عليّ أن أموت صغيراً  
قبل أن أعرف المناجم والدروب  
المرأة التي تغسل يديها بالعمور  
و الملك الذي يزيّن رأسه بالجمام  
الولد الخبيث ذا اللثة الطرية الذي يقشر  
الحليب من البكتيريا والحروب من الانتصارات  
أنا الرجل السيئ  
كان عليّ أن أموت صغيراً  
قبل أن أعرف الأشجار الإرهابية ومافيا السلام  
وفاة بائع المرطبات على سكة القطار  
و العجربة التي أهدتني تعويذة وقبله  
و كثيراً من الأكاذيب  
أنا الرجل السيئ  
كان عليّ أن أموت صغيراً

قبل أن تفترسني الوردة،  
و ينحت الفنان النظيف من عظامي القلائد  
و الأقراط

الفنان النظيف والوردة النظيفة  
يرسم الفنان النظيف الوردة النظيفة  
في حجرة ممتلئة بزجاجات البيرة  
و العرايا

لافتة الفنان النظيف

الفنان النظيف يحب الوردة  
الحب للوردة والوردة للسكاكين.

أيتها السكاكين المسكينة  
أيها الجسد الإنساني القذر  
أيتها الكلاب المعبأة بالمقانع والمحبة وعبير النعناع  
أنا رياض الصالح الحسين  
عمري اثنتان وعشرون برتقالة قاحلة  
و مئات المجازر والانقلابات  
و للمرة الألف يداي مبادتان:

للمرة الألف يداي مبادتان  
كشجرتي فرح في صحراء  
الشمس الشمس  
الشمس الناضجة  
الشمس المدورة كنهدي  
المنتشرة كالطاعون في القرن التاسع عشر  
المضيئة كعيني طفلة بقميص شفاف على البحر  
الشمس الشمس  
تمرّ بأسنانها على عنقي اليانع  
و تقضم أيامي كما يقضم الطفل تفاحة أو قطعة بسكوييت  
فتتقل يداي على صدري  
يداي، كخطى الجنود، مبادتان  
أسأل صديقتي  
(صديقتي لحم ودم وخراب)  
في الشارع أسأل صديقتي  
(الشارع ضيق عندما نبكي  
قليل عندما نشتاق)  
أسأل صديقتي:

لماذا، للمرة الألف، نباد؟  
منقطعان عن الحب  
ممتلئان بالخنادق كامتلاء دمية بالقش  
و بعد قليل يغطي الغبار جسدينا  
بعد قليل نتشبث بغصن التعب.  
متعبان اليوم  
و ربما غداً، أيضاً، نكون متعبين  
فمي مباد ولذا لا أستطيع أن أسرقك  
من البرد  
في المقهى ننام  
في الشارع نبكي  
من الحقل مطرودان  
من المدينة أيضاً  
السيارة أداة للقتل  
و غصن الزيتون مشرط لاقتلاع جلدة الرأس.

## جرثومة النبع

---

و الآن تعالوا لنحتسي قليلاً من الدهشة  
و الآن تعالوا لنمزق خطانا المترددة  
و نلف أوجاعنا بورق السجائر الرقيق  
و ندخنها باطمئنان  
فالمرأة والرجل  
الصحاري والبحر وأشجار الصفصاف  
الدموع ومعامل الإسمنت والحيوانات  
كلها الآن مغلفة بالكرتون والخشب الإفريقي الراقص  
تنتظر على السفينة الكروية الصلدة  
و بعد قليل ستتقدم البذلة الأنيقة  
التي تحتوي رجلاً لامعاً  
لتقدم الهدية إلى وحش رؤوسه بعدد  
القارات والمدن والقرى  
وحش لا يملك أوصاف دراكولا  
فأنيا به مهذبة للغاية

و لديه امرأة جميلة ولطيفة  
تأكل قلوب الأطفال ببراعة لاعب شطرنج ماهر  
و أما هو فيحبّ الويسكي المثلج  
و قرقزة الحبال الصوتية للبلابل  
و أنا..

"تعرفون أن أنا هو أنتم"

- هكذا يقول شاعر شحيح من بلاد القبعات الواسعة  
و المسدسات السريعة الطلقات -

أنا أحتفي بقدوم المآسي

و لديّ قدرة مذهلة على هضم الأوجاع والصفعات  
الرتيبة التي تأتيني كل صباح مع فاتورة استهلاكي  
للأوكسجين من المنتزهات العامة

أحبّ صبيّة بعيون وأضراس وأنف وقدمين

صغيرتين مقشّرتين بمساحيق غسل الثياب

و في إحدى زوايا غرفتي قميص وبنطال وحذاء

للرقص زائد عن الحاجة

أوقاتى مقطعة

و مساحات عمري بتضاريس تجريدية

و أما جسدي فوكر للفئران

و أما جسدي فمصيدة للفراشات الهاربة  
و كم أودّ لو يأتي يوم  
لا يكون فيه السندويتش بثمن  
و القبلة بثمن  
و القبر بثمن  
فعندما يمرض النبع  
و تضع زهرة المشمش السمّ في فنجان القهوة الصباحي  
لزهرة البرتقال  
سيتساقط الليل بغزارة  
و الزجاج بغزارة  
و الفقراء بغزارة  
و الرصاص بغزارة  
و المدن بغزارة  
و عندما نحب بعضنا تماماً  
و تقول لي البلاد كل سنة أن جواربها  
العشبية قد تمزقت بحمّي الفرح  
فسأزرع أمام كل بيت دمية للطفل المشاكس  
و أعطي صبيّة لكل فتى كئيب من بلدان العالم الثالث

و قيداَ للقبائل النيترونية الخرقاء  
و زجاجة عطر لأمي في عيد ميلادها  
و لحبيبيتي جسدي  
و الراتب القليل الذي أحصل عليه  
لقاء قراءة المراثي على قبور أصدقائي.  
انظروا.. انظروا  
أنا لصّ الأزقة الخرساء  
أحمل بيدي مفاتيح العالم  
مفاتيح دور سينما ملّ رّوادها الحالمون  
النظر إلى مسدس الشريف والقبلات  
الهوائية  
مفاتيح بنوك متخمة بالمعاملات والموظفين  
و الشرطة  
مفاتيح قرى تلملم نساؤها روث الحيوانات  
من الحقول ليخبزن عليه فطائر الزعتر الشهية  
مفاتيح لمخترعي الأسلحة الذين يصنعون كعك  
الموت لأقاربهم وأطفالهم الأعزاء  
مفاتيح بيضاً للسلام

مفاتيح حمراً للثوار  
مفاتيح زرقاً للعشاق  
و لكن — أقولها بأسف شديد- :  
إن المفتاح الزيتي الصغير الذي كان تحت وسادتي  
يوم الخميس قد سرقه أحد الأغبياء-  
و ها أنذا أقضم أظفري وأفكر بحزن:  
فليلة السبت لن أستطيع أن أنسلّ إلى بيت  
حبيبي لألعب معها بالورق  
و لذا قررت أن أموت لمرة واحدة  
بدلاً من الموت سبع مرات في الأسبوع  
و بما أنني لا أملك تابوتاً ولا قبراً ولا كفناً  
فلقد قررت أن أحيا بعدد الموتى  
و أفتح دكاناً لتوزيع الحب عليكم من خلال هذه  
القصيدة!

## أقمطة ونياشين

### وولاعات للرجال السعداء

- لا ماء في البحر  
لا حياة في القبلة  
لا عدالة بين نابي أفعى  
و لا شمس ساطعة في قلبي  
قطيع من الموتى في فمي  
و الغسيل على الشرفات-

موظفون لزرق الكآبة في الشرايين  
ملائكة بقوانين حمورابية لإغتيال الموتى والأحياء  
والقبور  
محاسبون لإحصاء الأظافر والأيدي  
و الرؤوس المتعبة  
ثيران بقوائم لطيفة لشرب البيرة وإصدار المراسيم  
حشرات ملونة على الشرفة

و فراشات كالحة على الرمال  
عشاق فاشلون  
لوحات تشكيلية فاشلة  
ربطة عنق ناجحة  
دوائر، وامرأة محطمة  
صورة بإطار. صورة بلا إطار  
صورة بيضاء. صورة سوداء. صورة سكوب بالألوان  
و لكن ليس هذا هو العالم كله:  
فالرمال ما زالت ناعمة ودافئة  
و البحر ما زال يرسل للصيادين الخرافات والأسماك  
ماء النهر صافٍ  
و الأطفال ما زالوا يحبون الفستق  
ثمة رجل يبحث في جيوبه عن امرأة  
ثمة امرأة تبحث عن حذاءها في الطريق  
و الصغار يستطيعون أن يبتكروا ألف لعبة  
بإصبع واحدة من الطباشير  
إذن، لا تحلموا بالشمس كثيراً  
فالشمس ستشرق في الساعة السادسة

و الثلاثين دقيقة حتماً  
إذن، لا تسألوا العصافير عن لون السماء  
في البلاد البعيدة  
لا تسألوا الزمن عن الذكريات  
لا تسألوا الأشجار عن نكهة الفؤوس في الخاصرة  
لا تسألوا الصعاليك عن رطوبة الأرضفة  
لا تسألوا التوابيت عن رائحة الموتى  
لا تسألوا القتلة عن رائحة الدم  
و لا تسألوا سمر عن قلبي  
فالأسئلة البسيطة قذيفة  
الأسئلة المعقدة انتحار  
و نحن سكان الأرض الأسوياء  
من الأفضل أن نوزّع الأقمطة والنياشين  
على مغتصبي العالم.

\* \* \*

"من الأفضل أن نوزّع التعب الإسبارطي والنقود  
البيزنطية على الناس بالتساوي"  
هذا ما قالته المرأة الواسعة التي مسحت أحذية القادة

بلسانها الملتهب

و كانت تقول لي:

و أصابعها تتحرك كقطيع من الوعول في شعري:

أديك غرفة بطول قامتي؟

و هل نافذتها تطلّ على الشارع أم على المقبرة؟

المرأة التي عبرت المجنزرات بين نهديها

كسرب من النوارس البيضاء

كانت تقول لي أيضاً وهي تنتحب بانفطار:

لماذا لم أعد أراك؟

لماذا لم أعد أراك في المطر؟

هل أخذوا منك معطفك الداكن

ليمسحوا به أحذية الملوك؟

المرأة التي تركت على سترتي صوتها المضيء

تهتم بالحب والأغاني المكتوبة

و تقول لي:

أتريد أن تقبلني؟

أتريد أن أقبلك؟

إذن، اغمض عينيك ودع الشرفة مفتوحة

المرأة التي لم تقبل أحداً منذ معركة واترلو  
معركة العلمين  
مذبحة دير ياسين  
و مذبح العالم الأول والثاني والثالث والرابع  
كانت تقول لي وهي تضع يدها الطرية  
على صدري:  
قلبك لم يعد طرياً  
و نبضك يدق ببرود  
فهل جعلوا من قلبك منفضة لرماد سجائرهم؟  
و من شرابيينك أحزمة لبواريد جنودهم؟  
المرأة التي كانت تبكي في الأزمنة البعيدة  
كانت تقول لي:  
ألديك أصابع؟ أين هي أصابعك؟  
هل سرقوها منك دون أن تدري؟  
هل أخذوها عنوة بمساعدة السكاكين؟  
هل سقطت منك وأنت تركض في الليلة  
الفاتنة وراء ظلك؟  
و كانت تقول لي -المرأة اليايسة كقشور الكستناء-

الملتئة كالكستناء

الناعمة كالكستناء

الطيبة كالكستناء:

أمس لم يسأل عنك أحد

لا ماء في البحر

و لا سمكة على الشاطئ

أمس لم يسأل عني أحد

زارني الموت ولم يكن على الرفّ قهوة

و لأن الموت يحب القهوة مثل جميع الناس

فلقد قلب شفتيه وصفق الباب وراءه

و مضى في قطار العتمة.

و كانت تقول لي:

أنت لا تبكي

أنت لا تبتسم

فمن احتسى دموعك بدلاً من الفودكا بالبرتقال؟

و من أكل ابتسامتك بدلاً من فطائر الكبد المشوي؟

فمك مغلق، ولسانك مصفّد

تُرى، هل تختبئ في فمك أغنية أم نقالة موتى؟

حديثاً عن عطلة نهاية الأسبوع؟

أم طفلة بعينين مفقوءتين؟

هل نسفوا لسانك أيضاً؟

أم ثبتوه بسقف حلقك بالدبابيس الفضية؟

و كانت المرأة التي تعدّ على أصابعها قتلى

حروب الطبقات تقول لي:

هل تعرف نيرون؟

هل قرأت عن نيرون؟

نيرون لم يكن مذهلاً لكنه أحرق روما

أنا هي عاصمتك المحترقة

و أعرف أنك لست نيرون

و لكن قل لي:

هل تحبني؟ هل تحبني؟ هل تحبني؟

\* \* \*

هذا ما قالته المرأة الواسعة قبل أن تحمل

مظلتها الضيقة

و تمضي في المطر الناري

و أنا -المهذب، المهذب، المهذب-

التفتت بمعطفي ومضيت  
و أنا أذكر أنها قالت:  
من الأفضل أن نبتلع المجنرات  
بدلاً من حبوب الكورسيدين!

\* \* \*

## سطور من كزّاسة

### الخطابين الأشرار

لصيرير مفاتيح الريح  
لوجه القمر المجدور  
لنهار دثّر بالضوء المدن المضيئة بالضجّة والزوّار  
المدن المحقونة برئات الموتى وحبوب الـ SIPON  
لأيدٍ تحمل أزهاراً أو أسلحة  
لجماجم من قُتّلوا في الليل  
و كان القمر كثيفاً  
ليعاسيب الأحرّاش المغسولة بالخضرة والدمّ  
و للحب وللحرية كُنّا نغني  
نحن الخطابين الأشرار  
نذهب في جهة ضيقةٍ  
أو قنبلة سيئةٍ  
نكتب أسئلة فوق ضروع الأشجار.

## 1 - الحب

أن تحب امرأةً من صفاف وأعشاب نارية  
أن تمتلئ يداك بالمسامير والبراكين الميَّنة  
أن تسوي من خصلات شعرك بيتاً صغيراً  
لعجوز وحيدة

أن تذكر أكثر مما ينبغي:

- الضفادع المنفوخة على ضفاف المستنقعات

- الصنوبر المنثور على الألواح الطينية

- القرنفل الأسود الذي حمله دوري بمنقاره الصغير

إلى ساحرة تعيش في كهف معتم

على قمة الجبل

أن تشرب كل يوم برميلاً من بول الموتى

و تأكل ستّ فؤوس وصماماً لعنفة معطلة

أن تعبئ قلبك بمصانع الأحذية والثلوج الملوثة

بالطين والأرانب المسلوخة ببِلطة كان يجب أن تقطع

عنق نابليون أو غارودي أو تقطع عنقك

أن تموت بشكل مناسب وبإذعان فأرة وجدت

نفسها في مصيدة فولاذية ولا أبواب أو نوافذ للريح

أن تحب امرأة بجنون أحلام هتler الذي كان  
من الممكن أن تكفي رصاصة واحدة لتفجير دماغه

أن تضع المسدس على صدغك مثلما تضع قطعة كاتوه  
في فمك

أن تضغط على الزناد مثلما يضغط عاشق بائس  
بكفيه على كتفي حبيبته

أن تنظر بشراة إلى الأفق الرمادي البعيد  
و أنت ترتدي قميصاً من الطحالب  
و البثور، و حذاء من البكاء والأقبية  
و أجنحة الدجاج  
أن تحب امرأة:

- تحت إبطها يجري نهر أزرق
- في فمها تعوي حقول الإجااص
- في مركز السرّة تماماً سهل أخضر بين فكي شمس
- أن تحب. أن تمتلئ. أن تسوي. أن تذكر.

أن تشرب. أن تعبئ. أن تضع. أن تضغط.  
أن تموت. أن تنتظر. أن تحب. أن تحب-  
يعني ببساطة بأنك تستطيع أن تكون  
جديراً هذه القصيدة:

## 2 - الأيدي

بيدين ملطختين بالأزهار  
بيدين معجوتتين بالحمى والحشرات المؤذية  
بيدين متسعيتين كقلبي  
بيدين تستطيعان أن تستكشفا أسرار الأزهار  
و أسرار المصفحات الرهيبة  
بيدين من أوراق الدوالي والأفران والسهول  
و الرغبات المحمومة  
بيديّ هاتين أبسط لكِ سجّادة الزمن البارد  
- أيتها المرأة الوسيمة-  
و أدعوك للحياة بحرارة  
و أدعوك لنسيان السمكة التي هربت من البحر

لتتلقفها السماء وترسلها مخفورة بالعواصف إلى الأرض  
ليتخذها الشرطي خلية لبضعة أيام  
و يقتلها، من ثم، بالغازات المسيلة للدموع.  
و بيدين مصفدتين بالأسمال والبواخر المثقوبة  
و البعوض

أمزق - أمامك - أنسجة جسدي

لتري الفوهات المعتمدة

التي حفرتها فيه الأسلحة البيضاء والسوداء

لمن امتلكوا - طبقاً للقوانين النافذة -

فرح العالم كله

و تركوا لنا:

- المحارم الورقية الرخيصة لمسح العرق

- الأيدي لنستمر بانتاج قوارب السباق الشراعية

- العيون لمشاهدة حياتهم الباهرة

على شاشات التلفزيونات الملونة

و نحن ملونان أيضاً:

في عنقك أغمدت ثلاث كرزات

و سرقت من فمك وردة

و نحن ملوّنان أيضاً:  
على ظهري سبع عشرة حفرة زرقاء  
و من حلقي يندف الثلج بغزارة  
و ها أنني أبتسم لك بهدوء  
سأحبك أيها (أيتها) العشب  
سأشرب حليبك الوفي دائماً  
و مع ذلك سأظل جائعاً بشكل ما إلى الخبز والمسرة  
و لأنني مهتمّ كثيراً بالفؤوس  
التي صنعت لتقليم الأشجار  
و لأنني أشتعل لأضيء قبور موتاهم  
و لأنني أهتم بالقبلة أكثر مما أهتم بالماركات الجديدة  
للمسجلات اليابانية  
سأستطيع، إذن، أن أرسم الخطوط الصغيرة  
و أحلّ ببساطة معادلة الحياة التالية:

### 3 - الحب، أيضاً

لقد قدّموا لنا خبز الجوع في صحن من الكريستال  
اللامع لأن بطوننا الصغيرة لا تستطيع

أن تتحمل كثافة منتجات الأرض الغذائية  
لقد قدّموا لنا جثة الأرض في تابوت من المرجان  
بدعوى أنهم لا يعرفون كيف يمكن حفر قبر لائق بها  
لقد قدّموا لنا الأوبئة لنتمكن من المحافظة  
على ضغط السكان في المدن الكبيرة  
بمعدله المتوسط  
لقد قدّموا لنا الرصاص لنتسلى بقتل أنفسنا  
بدلاً من أن نتسلى بالشطرنج والمطالعة  
و النزهات واختراع طرق جديدة للتقيل  
أما نحن فلا نستطيع أن نقدم لهم الحب  
لأننا نريد أن نعيش:

#### 4- الأنسة "س"

أنا صديق الأنسة "س"  
ذات الشعر الخرنوبي الخفيف  
"س" التي يركض في شعرها حصان هائج  
و ساقية أنين

تبيع (الشيكلس) في المحطات حتى الغروب  
و تعود إلى بيتها بصدر معبأ بالليل والنجوم  
و الأحلام اليابسة وقصاصات الجرائد  
و "س" التي اكتشفت قبل أيام أن فورستر  
يفرم السنة الأطفال الافريقيين  
و يصدرها معلبة إلى القارات الخمس-  
نامت في فراشي البارحة  
بعد أن نفضت عن شعرها الخرنوبي الخفيف  
ستّ مدرعات محطة  
و حقلأ من الذرة الصفراء  
"س" المملكة المفتوحة للجميع  
بجسدها المتين وقلبها الطيب كالدراق-  
سألتني مرة بخبث: ما الأرض؟  
قلت: "الأرض جرح متوهج ودم عزيز  
و ألم مرتبك"  
و عندما كان العمال الموسميون  
ينون بأعضائهم شاليهات لبورجوازي المدن  
سألتني مرة ثانية بخبث أشدّ وهي ترسم

بإصبعها الأنيق على الرمل تفاحة معطوبة:  
ما الأرض؟

قلت: "الأرض سرير تنام فوقه امرأة ميتة  
و بجانبها يبكي رجل بانس"

و في اللحظة التالية

و مثل أي شيء آخر

تنشقت "س" الغبار الأسود الذي تفرزه

سيارات تملكها ثيران بقرون ذهبية،

و أضافت: إذن، ما الفرق بين

السرير والجرح!؟

(لقد دفعتُ ثمن السرير جرحاً

و ثمن الجراح حاضراً قتيلاً

و لم أستطع أن أشتري لـ "س" زهرة لوتس

أو اسوارة بلاستيكية

بعملة عمري المحطم

فماذا يقول السيد كارتر الذي يتبرع كل يوم

بعشرة سنتمترات من دمه لأحد قرود حديقة حيوانات

تكساس؟

و أنا صديق الأنسة "س"  
ذات الشعر الخرنوبي الحفيف  
التي تتعفن تحت لسانها ليمونة من الأسئلة  
البسيطة والمخيفة  
انتظرتها على السطح  
فجاءت بقميص مطعون بالنجوم والأحلام اليابسة  
و كان عليّ أن أقبّلها  
و أعتقد بأنني فعلت ذلك بشكل جيد.

## خراب الدورة الدمويّة

استقلي باص جسده  
أو انتظريه في المحطة التالية  
فهو الآن متهم لأنه قتل  
و متهم بتخريب الدورة الدموية:  
القبلة الأولى رصاصه  
الطلقة الأخيرة حب.

### 1 - صورة شخصية ل.ر. ص. ح:

يركض في عينيه كوكب مذبح  
و سماء منكسرة  
يركض في عينيه بحر من النيون  
و محيط من العتمة الطبقيّة  
في عينيه - أيضاً -  
تركض صبيّة جميلة بقدمين حافيتين

يغني:

لقد كانت طرية.. طرية

كالتلج والينابيع

لقد كانت سنبله طرية

و لذلك التقطتها بمناقيرها العصافير

لقد كانت طرية.. طرية

تركض بقدمين حافيتين فوق سهل أجرد.

## 2 - حلم:

من يقطن في جسد "يانافالينتوفا"

الطافح بالغزلان وأشجار البلوط

المعبأ بالمعجزات الأرضية المشاعة؟..

من يغتسل من محيط عينيها

و يتبلل بالنوارس وأصابع الصيادين السعداء؟..

ها أنذا أتفقد مكتبة أيامي

فاتحاً كراسة الأنهار،

لأقرأ في خطوط يديها:

تضاريس الريح  
و أمجاد الأمواج البرية  
أتفتت في مناخ قبلاتها:  
أسماء خضراء وغابات سالكة  
ممالك تفتح أبوابها لفرسان الدهشة  
لعصافير الدوري المتفجرة بالغبطة والأناشيد.

### 3 - عشب:

جلسَ العاشقان على العشبِ  
جلسَ العاشقانُ  
خلفهما جثة لا تحدُّ  
و بينهما جثة ودخانُ

### 4 - أغنية:

مزرعة للوفي، يدك التي تمتدّ لا ترجعها  
شفتي لغة ملطخة بالضنى..  
الآن تتمدد على سرير جسدك الوثير

ترتمي بين أشجار عينيك ذاكرتي  
و أنا متشبث بصفائر يديك  
أفتح نافذة للحديث..  
و بلحظة يقتنصك الغياب  
أو تصبحين فريسة للأغاني!.

### 5 - أسئلة:

أيتها البلاد المصفحة بالقمر والرغبة والأشجار،  
أما أن لك أن تجيئي؟!..  
أيتها البلاد المعبأة بالدمار والعملات الصعبة  
الممتلئة بالجنث والشحاذين،  
أما أن لك أن ترحلي؟!..

### 6 - مدينة:

يركض في دهاليزها فرس شوكيّ  
يحكّ بقوائمه ظهرها الطافح ببثور الجرب  
هي.. هي

المدينة- المئذنة

ثمة طاووس وحيد في حديقته الواسعة

يفرد بزهو ذنبه الملّون، لينظر إليه:

أ- ماسح أحذية ذو عينين حزينتين  
و وجه ملطخ بالبويا

ب - امرأة شقراء عيناها جرح ووجهها كآبة

ج - بائع بطاقات يانصيب خاسرة سلفاً

د - كاتب هذه القصيدة المطرود من عمله لأنه  
حاول التأكيد على أن الأرض توقفت عن  
الدوران، وأن الأبيض لم يزل أبيض  
والأسود لم يزل....

## 7 - حوار:

قلت: للبحر أجنحة

و مراكبنا الريح قد سرقتها

و تنائر شاطئ البكارة في حقائب قراصنة البرّ

فإلى أين أذهب

و أنا متسخ و عارٍ

مثلما القمر في منتصف ليلة صيفية؟.  
قلت: اغتسل بماء صوتي  
و ارتدّ قبلاتي  
قلتُ: قاطرة الوقت قد أنهكتني  
فالقري مدية تحتزّ وريدي  
و المدن الصخرية امتلأت بي ضجراً  
و ها أنا أتبيس بين اثنتين:  
- خطوة وسكاكين..  
- خطوة وقرنفل..  
أصبح الصوت سوطاً  
و الحذاء قبعة  
و الحقائق مستشفيات  
و مكاتيب الغرام قنابل موقوتة..  
فمن أين أبدأ؟.  
قلت: فلتكن في البداية مذبة الأبجدية!..

## 8 - رقص:

أسقط في حزن حبيتي  
شمساً باردة  
هواءً مختنقاً

أسقط في حزن حبيتي  
جسداً مسكوناً بالجوع  
مصفاً بالحبر والأحذية  
أفتش في حزن حبيتي  
عن أغنية شرسة  
و لحن مفترس  
و...

- هل تحبين الرقص يا حبيتي؟!.....

## 9 - امتلاك:

حادّة كالشفرة  
صلبة كحربة فولاذية تخترق القلب  
واسعة كالمحيط

جميلة كالفرح  
مضيئة كالضحكة  
حبيبتى الممتلئة بالأعياد  
شهوة كرغيف الخبز  
طيبة كبرتقالة  
أما أنا..  
فلا أملك إلا هذه الكلمات  
و بعض الذكريات التعيسة  
المحفورة بضاوة على ميناء جسدي.

## مارسيليز العصر النيتروني

في عصر الحب البلاستيكي والقلوب البلاستيكية  
ثمة قطارات تذهب بالجنود إلى الموت في الأعياد  
و ثمة مهرجون سيكون على أنفسهم سرّاً  
و يُضحكون الآخرين على الحلبة  
في عصر المدافئ الغازية والاختناق بالغاز  
أشم أصابع حبيبتني  
و أشرب ذكرياتها البليدة  
هذه الفتاة تثرثر كثيراً عن الحقول  
و تجمع صور الأطفال  
كهاوية طوابع محترفة  
حتى أنها لا تستطيع أن تقتنع  
بأن الأمهات سيكفن عن الإنجاب  
لأننا نعيش في العصر النيتروني

\*\*\*

إننا نعيش في العصر النيتروني

عصر القبلات السريعة في الشوارع  
و الاندحار الفادح في الشوارع أيضاً  
إننا نعيش عصرنا الضاري  
عصر الجواسيس الذين يقدمون لك القهوة  
مع المورفين  
عصر الطائرات التي تطعم البشر القنابل  
و الألعاب  
إنه عصرنا النيتروني  
عصر الأحذية المثقوبة والكلابات  
عصر التعب البطيء  
من الساعة (صفر) حتى الساعة الخامسة والعشرين  
و من عصرنا النيتروني  
عصرنا ما قبل الأخير  
ندعوكم: تعالوا..  
أيها البرجوازيون التعساء  
تعالوا وشاركونا النحيب والسجون والأغاني

\*\*\*

و هنالك قيد واحد وهناك أغاني تترية

و هنالك أسرة بعدد العشاق

و توابيت بعدد اللصوص

و هنا.. هنا

رجل معتم وامرأة معتمة وسبعة عيدان من الكبريت

عود كبريت واحد يكفي:

لإضاءة شمعة

أم لتفجير مدينة؟

عود كبريت واحد يكفي:

لتحضير كأسين من الشاي

أم لتحضير محرقة للملحدين؟

عود كبريت واحد يكفي:

لتنظيف الأسنان

أم لإخفاء معالم جثة مغتصبة؟

و هنا.. هنا

حتى الموتى يمكن أن يتألموا

و حتى الموتى يمكن أن يتقنوا الرقص

و حتى الموتى يمكن أن يتلوثوا

إننا ملوثون للغاية

ملوثون بالحروب وملوثون بالمجاعات

نحن الموتى الموسميون:

شراييننا محقونة بالضجيج ومقابرها

محقونة بالدخان.

نحن العشاق الموسميون:

قلوبنا ملطخة بالأرق وليالينا ملطخة بالآهات

\*\*\*

نحن العمال الموسميون:

مرهقون دائماً وليس أبداً

مرهقون منذ الأهرامات وحتى جوهرة

بوكاسا الفريدة

\*\*\*

في عصر الرؤوس المفالطة

و مصانع الحب التكنيكي

و أرغفة الجوع الفاتك

في زمننا الحقيقي الاسطوري هذا

نخرج إليكم.. نخرج إليكم

لا من القبور ولا من المحيطات

لا من الكتب ولا من الجدران  
نخرج إليكم.. نخرج إليكم  
و بأيدينا كل شيء..  
بأيدينا القمصان الملوخة بالزيوت والطين  
بأيدينا مساحيق الد. د. ت  
شفرات الناسيت الحادة  
انتظارنا العادل و دساتيركم البارعة  
نخرج إليكم.. نخرج إليكم  
لسنا أشراراً ولا مهذبين  
لا نحب العنف ولا نكره الطيور  
و أجسادنا تفوح دائماً برائحة المعادن واليانسون  
نخرج إليكم.. نخرج إليكم  
بشرفاتنا وأيامنا التي تتساقط كالذباب  
بزمنا المعطوب  
ببيوتنا المعطوبة  
بأجسادنا المعطوبة  
بأحلامنا المعطوبة وفاكهتنا المعطوبة  
نخرج إليكم.. نخرج إليكم

نحن مواطنو العصر النيتروني  
عصر الرؤوس المزروعة بالألغام  
و القلوب الطافحة بالأغاني

\*\*\*

إنه عصرنا النيتروني  
عصر المساطر والمرائي والدبابات  
إنه عصرنا النيتروني  
عصر الشجر النووي والعصافير النازية  
و الإذاعات وعصر المواعيد الفتية:  
مع المدافن نهار السبت  
مع الحزن نهار الأحد  
مع الخنازير نهار الاثنين  
مع الجنون نهار الثلاثاء  
مع الرشيشات نهار الأربعاء  
و مع الموت الوسيم  
إنه عصر المواعيد الفتية الخائفة في جميع الليالي  
و في جميع الليالي  
في جميع الليالي

لِكِ مَوْعِدٍ مَعِ قَلْبِي.

## عيد للقبلة... أعياد للقتل

- منذ سنة صدمت امرأة وحيدة في الشارع  
تلبس بذلة باهتة ولكن عينيها لامعتان  
صرنا أصدقاء بسرعة  
و بعد أيام تبادلنا القبلات والأحلام  
و كان اسمها: س -

-1-

كان اسمها: س  
تحب الماء  
و الرحيل في زورق إلى المدن الجميلة  
شعرها يتطاير مع الريح كالعصافير الخائفة  
و يداها زهرتان حول عنقي  
و كانت تحب غرفة صغيرة في قطار  
و كتاباً لرامبو تخبئه بين ملابسها الداخلية

في حقيبة سوداء تحت السرير  
و كانت، أيضاً، تحب الأعياد والأطفال  
و تكره الجواسيس والقتلة القانونيين  
كان اسمها: س  
ضفيران من أوراق البرتقال والملمس الناعم  
تحب الرمل والقبلة  
و تحبني أيضاً:

"حينما كنت صغيراً كغرسة الحمص وأليفاً كالهرة  
سألتني سيارة هرمة  
بعد أن لطخت وجهي بالطين:  
بماذا ستغتسل في المستقبل؟  
آنئذٍ، فتحت الباب ودخلت "س"

- 2 -

فتحتُ لها الباب وهي خائفة  
جلستُ على السرير بانفعال

نظرت إلى زوايا غرفتي كاصة وتنهدت  
- علينا أن نأكل كثيراً يا صديقي ونموت

فما عاد في الأرض متسع لنا  
قرأتُ لها قصيدة فبكتُ

حدثتها عن العمل

و حدثتني عن الأقفاس النظيفة

- حبة برتقال واحدة

و سبعة عشر ألف متسوّل

ماذا يعني؟ -

خلعتُ قميصها واغتسلت وجلست على السرير

نظرتُ من النافذة الضيقة وتنهدت

- غداً من الممكن أن أنتحر

الآن علينا أن نحب.

وضعت على عينيها منديلها الملون ونامت

أما أنا..

فلقد نظرت إلى صدرها المتدفق بامعان

و رقصت بلا رغبة:

"في التاسعة عشرة وضعت على رأسي قبعة

و حملت كلاشينكوف  
أكلت السردين كثيراً والغبار  
و كنت كلما جرّدت مَنْ يقتله الأعداء مِنْ أشيائه القليلة  
أجد بينها صورة فوتوغرافية لـ: س"

- 3 -

على الرصيف تقابلنا  
كانت تمزق دفتر مذكراتها وتبكي  
أمسكت يدها بعنف وسرت معها  
و في زاوية ما  
في مقهى ما  
في شارع ما  
شربنا الشاي وتبادلنا القبلات  
لكن جسدها النحيل ظلّ يرتعش بقوة  
حتى خفتُ أن يتفتت  
مثل كتلة من الطين لم تر الشمس  
منذ ألف عام:

"من روزا لوکسمبورغ حتى فاطمة برناوي  
كان جسد من أحبها معجوناً بالجرائيم  
و القنابل الموقوتة  
و كان قميص من أحبها مبللاً بالزهور  
و أناشيد الرعاة.

من روزا لوکسمبورغ حتى فاطمة برناوي  
كانت يداها تضيقان تضيقان  
حتى تصبحان بحجم جثة  
و عيناها تتسعان تتسعان  
حتى تصبحان بحجم قبلة  
و أما قلبها فبصخب كان يدقّ، وباستمرار أيضاً  
تك. تك. تك:

نحن معاً في الطلقة  
و نحن معاً في الأغاني  
من روزا لوکسمبورغ حتى فاطمة برناوي  
سأقول لك: حدثيني

عن الطفل الذي يرضع الحمى من ثدي الأرض

عن الدروب المقفلة  
عن العيون المفتوحة على جهنم  
و عن الأجساد المفتوحة على البحر  
سأقول لكِ حدثيني.."  
لقد قدّمت نفسها للبحر  
ببساطة وحب ولامبالاة  
قدّمت نفسها للبحر  
هل هذا شيء مثير للضجة؟  
هل ستتحدث عنها النسوة تحت القناديل؟  
هل سيحتفظ الرجل برسائلها في صندوق  
بثلاثة أقفال  
أم سيقدم للنار كلماتها المعذبة؟  
الأمر الوحيد هو أنها قدّمت نفسها للبحر  
كما تقدم الأم حلما ثديها لأول مرة  
للوليد الجديد  
و البحر الواسع، الصاخب، الممتلئ  
تلقف جسدها بشفتيه الرقيقتين وسكت  
أما هي..

فلقد ضمّته إلى صدرها بقوة و.. عاشت  
كانت امرأة وحيدة  
بلا أساور أو بيت أو عشيق  
و لذا قدّمت نفسها للبحر  
فهل هذا شيء مثير للاهتمام؟

"أصبحتُ في الثالثة والعشرين  
رجل بوجنتين شاحبتين ومستاء للغاية  
ودعت (س) بعد أن تركت على عنقها  
دمعة حارة كالفلفل  
و ها أنذا أعمل لأشتري لها تفاحة ورغيفاً  
و لكن ثمة من أخبرني  
بأنني سأجد في التفاحة دودة  
و في الرغيف صرصاراً ميّتاً  
فإذا تركت الرغيف والتفاحة سأموت  
و إذا أكلتهما سأموت  
و في الحالتين سأخسر نفسي  
في الحالتين سأخسر س"

ماذا نفعل

إذا كان ثمة عيد واحد للقبلة

و أعياد كثيرة للقتل

ماذا نفعل؟

## رقصة تانغو تحت سقف ضيق

قلبي سائغ للقضم  
ملجأً للأرانب الزرقاء  
سمكة قرش بزعانف من صبار شرس  
قلبي سائغ للقضم  
و يتحرك ببطء على بلاطك الشوكي أيتها الأرض  
أيتها الأرض الممتدة من الموت بجدارة  
على نصال الخناجر  
إلى الموت بجدارة أشد  
بواسطة حبل يتدلى من شجرة زيتون مغبرة  
أيتها الأرض المعبأة بالأخاديد  
المطلية بالحصى والرصاص  
المرتدية عباءة من جسور تصل دائماً:  
بين القبور والموتى  
بين الجرح الأبيض القانوني  
و الجرح الأسود الخارج على القانون

بين القفص الفضيّ الجميل  
و القفص الذهبي الجميل أيضاً  
أيتها الأرض المكفّنة بالصور الملوّنة لتيمورلنك  
و سالومي  
مدّي لي لسانك البارد لأعضه بغيظ  
مدّي لي شفّتيك المهترئتين  
لأنّثر فوقهما رماد جسدي  
فمن الممكن جدّاً  
أن تنفلق ذرّة واحدة على الأقل  
لتنسلّ منها زهرة بيضاء  
مثلما انفلقت -بالأمس القريب- الخلية الأولى  
ليخرج منها البشر مسلّحين بالمدي  
الحيوانات مسلّحة بالأنياب  
الجبال مسلّحة بالبراكين  
السماء مسلّحة بالصواعق  
و أنا مسلّح بقلبي  
قلبي السائغ للقضم  
باستطاعة أية امرأة أن تمدّ يدها إلى صدري

و تسحب قلبي منه بمرونة  
و هذا ما حدث تماماً:  
ثمة امرأة وضعت قلبي  
/ قلبي السائغ للقضم /  
في كأس صغير  
و أضافت عليه قليلاً من الماء والسكر  
و كان بوذي أن أسألها بمرارة:  
لماذا شربت قلبي على أنه عصير برتقال  
و لم تأكله على أنه برتقالة؟  
و لكنها -على الأرجح-  
كانت ترقص التانغو تحت سقف ضيق!.

## مساء هادئ فقط

---

هذا المساء هادئ أكثر مما ينبغي  
هذا المساء ليس هادئاً  
فأنا رجل أو حزمة ديناميت  
و تحت إبطي إوزة حمراء أو خرتيت أسود  
المرأة ذات النهed المعشب واليدين الصريعتين  
نامت مع زوجها على السطح  
إذن، هذا المساء ليس هادئاً  
الفلاح الملتحي لم ينم هذا المساء  
فلقد سرق دجاجة سمينة بالأمس  
و ضبطت المفرزة الجنائية عظامها في برميل الفضلات  
إذن، هذا المساء ليس هادئاً  
فريتنا الجريحة ماتت في الغابة  
و غطتها الأغصان الكثيفة والمستنقعات  
إذاعة (مونت كارلو) لم تذكر شيئاً عن ريتا/  
سيداتني، ساداتني:

قُتلت القطة لوسي تحت عجلات القطار  
و لم يستطع المستر X أن يمارس واجباته  
الزوجية بعناية/  
المساء هادئ جداً  
على ضفة الميسيسيبي  
إحدى العاهرات  
تغزل الصوف وتحيك الجوارب لقتلى حروب العدالة  
الشعراء يتحدثون عن الشعر...  
العمال يتحدثون عن العمل  
العشاق يتحدثون عن الحب  
الفلاحون يتحدثون عن الأبقار  
و لكن قل لي أيها القارئ الوسخ  
عمّ يتحدث الموتى  
في هذا المساء الهادئ؟  
إنهم بالطبع لا يتحدثون عن لعبة الهوكي  
أو الأمجاد التي حصلت عليها أميرة موناكو  
لأنها عرضت ملابسها الداخلية على جمهرة من  
الصوص

إنهم يتحدثون عن الموت  
هل الموت قالب كاتوه أم نسناس دانمركي؟  
أهو تفاحة أم بلياتشو بأنف يشبه التفاحة؟  
هل الموت حلم أو حقيقة  
و إذا كان حقيقة  
فلم لم يزل هتلر يفكر بحشر الضعفاء  
في أنابيب الغاز؟  
و لم لم يزل هولاءكو يغتال الفلاحات  
في حقول القطن؟  
في هذا المساء الهادئ  
ثمة شخص يرثي الجميع:  
لقطاع الطرق وأسراب النوارس المهاجرة  
للغيوم الكالحة والقتلة المهذبين  
و مراسيم حصر الجنسية  
للعشاق الفاشلين وكلاب المدن الضالة  
و في هذا المساء الهادئ  
سأغلق باب غرفتي ورائي متجهاً نحو النهر  
عليّ أن أتوقع قبلة على الخدّ

أو خنجراً في العنق  
و من الممكن أن ينتظرنني قمر أو قنبلة  
زهرة بنفسج أو قبر  
عليّ أن أتوقّع كلّ شيء  
فالمساء هادئ  
المساء ليس هادئاً!

## خنجر أبيض

---

في الصيف  
كان ثمة صبيّة شقيّة بعينين صاخبتين  
إلتقت بي في قطار التاريخ  
و أعطتني كتاباً وإصبعاً من الموز  
بعد أن نظرتُ بخوف إلى الرجل الضخم  
و هو يداعب فوهة مسدسه البارد في جيب سترته  
و حينما طلبت منها أن تعطيني عنوانها  
قالت: لا بأس  
و مصّت إبهامها اللذيذ وفكرت  
ثم كتبت شيئاً ما على ورقة صغيرة.  
في الشتاء  
حينما ذهبْتُ إلى المقهى لأراها  
كان وجهها أصفر وعيناها رماديتين  
و في ظهرها خنجر أبيض  
تتراكض عليه العصافير!

و نحن أيضاً - عرّفته بنفسى -  
نسفّ حبوب العدس فى اللىالى المقمرة  
منتظرىن أن تشقّ الشمس شارعاً  
فى قلوبنا الطرىة  
و نحن أيضاً - عرضتُ علىه صورة لغجرىة  
وجهها زلزال -  
نحب الجسد التفاحى  
و النار الزرقاء  
و الأسرّة الصاحىة  
و فى الصباح ننحدر نحو الجدول  
لنغسل أصابعنا من الدبق  
و قلوبنا من المسرّات  
و نحن أيضاً  
- أردتُ أن أجدد كآبى أمامه -  
نبكى على نوافذ تعاستنا

منتظرين أن يأتي نهر الحرية  
لنشرب منه إلى الأبد!

## يحدث أن..

---

يحدث أن ترى بعض الأطفال يلعبون بالكرة  
و هم يتحدثون عن الأسعار المرتفعة  
للبيبي كولا والبسكويت  
يحدث أن تسمع بأن رجلاً في صحراء الربع الخالي  
يتكلم كثيراً عن البنكنوت والمراوح الكهربائية  
يريد أن يبتلع بيضة الثور  
كما تبتلع الرتيلاء ذكرها المسكين  
يحدث أن تقرأ عن امرأة أمريكية  
وهبت بكارتها لسبعة آلاف رجل  
و مع ذلك ما زالت تنام وهي بردانة  
كالقطة في حجرة من الفخار  
يحدث أن تحسّ وأنت في هذه الغرفة  
بأن فاكهة الدنيا كلها  
لن تستطيع أن تمنحك القدرة على الاكتفاء  
و لكن الشيء الذي لم تره

أو تسمع عنه

أو تقرأه

أو تحسّه

هو أن ضوء القمر اللطيف

قد يأتي إليك أحياناً

و جيوبه محشوة بالديناميت والقنابل اليدوية!

## العدالة

---

العدالة هي أن أركض مع حبيبتي  
في أزقة العالم  
دون أن يسألني الحراس عن رقم هاتفي  
أو هويّتي الضائعة  
العدالة هي أن ألقى بنفسي في البحر الشاسع  
و أنا واثق بأن أحداً لن يمسكني من أذني  
و يقودني – مرّة ثانية إلى القبر  
بدعوى أن الإنتحار لا تقرّه الشرائع  
و القوانين  
العدالة هي أن أكل رغيفي بهدوء  
أن أذهب إلى السينما بهدوء  
أن أغني بهدوء  
أن أقبل حبيبتي بهدوء وأموت بلا ضجة

## 1 - نهر. نهر. نهر:

أكسّر بالحصى مصابيح عينيك

و أفترش صخرة العتمة

أحلم بأن يديّ نهاران

و رأسي شجرة ليمون

و جسدي مزرعة للعدس

نهر. نهر. نهر

نهر من القرنفل والعشاق والعصافير النشاردة

و صديقتي لؤلؤة قمحية مخبأة في تابوت

نهر. نهر. نهر

نهر من الرماد والقتلى والمدن المهزومة

و صديقتي تضع جبينها على الوسادة وتبكي

نهر. نهر. نهر

نهر من الغضب اليابس والقبضات الصدئة

و صديقتي تفرّ إليّ سرباً من الذعر  
و تختلط بي.

## 2 - النافذة والرصيف:

تدخل الشمس من النافذة كملكة  
من النافذة يدخل الغبار كعنكبوت  
حبيبتي تطلّ من النافذة  
و من النافذة أرقب شلالات النجوم  
من النافذة تترجل رصاصة بمهابة  
و تخترق جسدي بكبرياء  
أدلى من النافذة بعينين عشبيتين  
و أقفز بارتياح في بحر الأرصفة.

## 3 - زهرة بريّة لعيني نieron:

أنا المقيد المنتشر  
أسطحة ذاكرتي تراب  
أحمل لحبيبتني أقراط اللوز وأساور العنب الأسود

زهرة بريّة لعيني نيرون  
سيّد الخراب والقصور الجائعة!  
و مثلما الأفراح النارية تختلج على قيثارته اليتيمة،  
أختلج على أوتار حبي  
مشنوقاً بأوراق الزيزفون وغبار المدينة المتهدمة  
افتحي لي بوابة النهر لأغتسل  
اغلقي خلفي نافذة اليباب لأنام  
امتلكي دهشتي وخطاي  
قبل أن أصبح دمياً محطمة  
ادخلي فضاء قلبي  
كوكباً مائياً صغيراً  
و مزّقي رنتي بالقبلات  
فأنا المنفتح شراعاً فوق مركبة الخذلان  
أحمل لنيرون زهرة بريّة بيدي اليمنى  
و باليسرى أقبض على جمجمة البحر المتفتتة  
و من شفّتي تسيل ملكة الحزن والانكسار  
و أمام مذبح الوقت  
أعري أجيالي بغبطة

أغسلها بلفائف التبغ ومقصلة الكلمات  
ليغتصبها هيكلي الجوعي قطعة قطعة.

#### 4 - كان وقتاً جميلاً:

لم يكن وجهها بيدراً  
حين بعثرني الوقتُ  
قلتُ لها: أنت لي..  
و أخذتُ رمادي من الشرق والغرب  
من جهةٍ صلبتني  
و من جهةٍ أمسكتُ خطوتي قبل أن ألمسَ النهرَ  
أعطيتها جسدي وبطاقةً حبّ ملوَّنةٍ  
و بكيت قليلاً على صدرها الشجري  
رحلتُ. ووقتُ:  
ليس لي غير صوتي ونافذة وتراب  
ليس لي غير هذا الغبار الصغير  
سيخنقني جسدي  
الآن تأتين مقصلةً وبياب

إقرع الكأسَ بالكأسِ  
موعدا جثتان  
إقرع اليأسَ باليأسِ  
مدّني جبلاً في الطريق  
فشاحنة أينعت في فمي:  
وردة ومصايح ذئبية  
و جزيرة موت  
و لا أنتهي..  
كان وقتاً جميلاً جميلاً  
ضفة ورمال، ومشنقة تتدلى  
و شاخصة (سيدي) لن تش  
كانت الأرض عرساً بسيطاً  
و ها جثتي في يديّ كحبة توت  
و بحارة ينشدون:  
لقد كنت قبلهً يا حبيبي  
تفجرني، وتموت.

## 5 - لوسيفورس يقشر برتقالة البحر:

أصعد النافذة المفتوحة على ثديي قروية ترضع الأرض  
شفتاي مكبلتان بالسخام وتعب الصحراء  
أصعد، حاملاً المدينة تحت إبطي  
بيوتاً ملطخة بالقهر والابتسامات الباردة  
أرى:

لو سيفورس يقشر برتقالة البحر

أنتحب بين يديه

لو سيفورس، اعطني سكينك وخذ جسدي

- لو سيفورس، اعطني قدميك وخذ ذاكرتي

الطافحة بالأسماك الجميلة الميتة

- لو سيفورس، اهدني مسدساً أثقب به

جمجمة الليل أو اهدني موتاً حقيقياً..

فلما أزل متوغلاً في نفق البكاء،

أترك أثراً، زنبقة في صدر امرأة، وأموت.

ولما أزل أستلقي على أرصفة الدنيا،

أحلم كخروف بالحشائش والتبغ والجدران الخمسة

و في الصباح أترك أثراً، بقعة دم متجمدة،

و أموت.

الرسائل أيضاً

أدسّ فيها زهور اللوتس وجوعي

و أوزّعها على بريد العالم

فيرسلون لي في طرد مضمون قبيلة ناعمة

تنسفني، وأموت.

لو سيفورس..

هل رأيت الشمس وهي تتدلى من حبل مشنقة؟

لقد كانت أُمي تحبها كثيراً

و تطرز لها في الشتاء قميصاً من خيوط شجرة عينيها.

هل تعرف أين تختبئ الأقمار القديمة؟

مرّة فتحت تلميذة صندوقها الخشبي الصغير

الذي تضع فيه كتبها المصوّرة

و كنت أختلس النظر كقط ذكي

فرايتها:

عشرة أقمار..

عشرة أقمار صغيرة لامعة!

صورة: - لوسيفورس يأكل برتقالة البحر-

صوت: - لوسيفورس، أطعمني، فأنا جائع.

## 6 - المهدورة:

تنبئني امرأة كبريتية

فمها وكر للخفافيش والأسلاك الشائكة:

- زمنك المتقدم على قدمين من زجاج،

سينكسر قبل أن يصلك.

تنبئني امرأة طائشة:

- زمنك المنكسر يأتي إليك بلا أيام

محملاً بالتوابيت وبطاقات التعزية.

تنبئني امرأة تدخن الماريجوانا

في مقهى البحر المتوسط:

- زمنك الميت، مكتئباً يسير في أزقة المدينة

يسأل عنك الأرصفة الرطبة

و يفتش في جيوب الشحاذين عن عنوانك المحترق.

ينبئني زمني:

- امرأة تخبئ في عينيها كلّ الأفراح

المهدورة والأعراس الممزقة..  
قادمة من بين يديك،  
فاستقبلها.

مطر أشقر وفرس زرقاء  
و جثتي في الشارع وحيدة  
و ما زلت أكتب العصافير على ورق الجدران  
و أرسم تفاصيل حبيبيتي الكئيبة  
مدن من زهر النعناع  
و قرى من نفايات المدينة  
جثتي في الشارع وحيدة  
و أنا أصرخ في بوق الريح:  
أيها الزمن السيئ، أيها الزمن اللعين  
يا رغيفاً من حشرات ووطاويط  
ألم تر حبيبيتي الكئيبة  
سمراء. قمحية. مدمرة. بحر  
ملفوفة بالأعشاب والغيوم الكتيمة  
عيناها سمكتان ونهداها غزالة  
و سلّم سترتها طويل

درجة أولى وساعتي رطبة

ماذا تطلب أنت؟

- زجاجة بيرة وصحناً من الأرزان المقلية

قصائد مملحة بجوع الفقراء

و أشجاراً مباداة بالأسلحة الكيميائية!

تعلم، إذن، كيف تحب العالم

تعلم كيف تبتلعه.

درجة ثانية وسلم سترتها طويل

لا تصعد هذا الوجع

قد تطلع من الحائط نسمة بحجم جبل

قد يخرج خر تيت من بطن خزانة محشوة

بالبثياب الفرنسية موديل 2000

و ربما يطل برأسه ديناصور رهيب

من كتاب يتحدث عن الحب والأزهار

اقرأ كتاب النار ولا تشتعل

دخّن لفائف قهرك الرخيصة

فالدرجة الأخيرة آتية

و سلم سترتها طويل

ضمّد جراحك بالأرصفة ورسائل المساجين  
فمعدن حبيبتك مزور

و أنت لم تتعلم فن الضحك في مدرسة  
دريد لحام

و لم يعلمك أوفيد فن الحب  
إنسان بسيط أنت

تريد أن تأكل وتزوج وترقص!  
جسد حبيبتك شمس

إذا اقتربت منها ستحترق  
كفّا حبيبتك مدينتان

إذا دخلتهما ستصاب بالانفصام  
شفتا حبيبتك رغيان

إذا أكلتهما ستصاب بالتخمة

\* \* \*

مطر أشقر و عيون زرقاء

و أنت ممددة على معطفي الممزق

المدينة نائمة ونحن وحيدان

و سنديلا في ردائها الطويل تطارد المذبحة

أنا جائع جائع  
كعصفور على صخرة نائية في بحر متسع  
و لكنني لا أريد أن أموت  
أنا مقهور مقهور  
كورقة صفراء لم تأخذها الريح في الخريف  
و لكنني لا أريد أن أسقط في الفراغ  
أنا معذب معذب  
مثل ديك بعنق مقطوع يركض في أزقة  
خاوية ودمه لا يتساقط منه  
أنت جميلة والمطر أشقر ونحن وحيدان  
و لكن لا أريد لموتي أن يتسع

\* \* \*

أيتها الرائعة الخاوية حتى من جسدي  
أيتها البلاد المثقوبة كالخرز أو كالجراح  
ها أنذا أعطيك نهراً قبل أن أغتسل  
فيه!.



# أساطير يومية



"لقد قلت لك، أيها الرئيس، إن كل ما يجري  
فوق هذه الأرض، غير عادل، غير عادل،  
غير عادل!.. وأنا دودة الأرض، زوربا  
الحلزون، لا أوافق على ذلك".

نيكوس كازانتزاكيس  
رواية زوربا



## حرب. حرب. حرب

عاشق ذاهب بين حشرجة النازحين وحشرجة الكلمات  
عاشق مثل هذي البراري المدمّاة والجثث الذهبية  
يخرج من زمنٍ ليغني  
و يدخل في وطنٍ ليغني  
يبتاغُ أرغفةً ومعاول  
يبتاغُ أرصفةً ومعامل  
يبتاغُ حزناً شديداً  
و دبّابةً سقطت بين فكّي زهرة دقلى  
يبتاغُ قبراً وسيماً لطائرة  
و غصوناً خضراء من فرح أبدي للعاشقات  
عاشق ذاهب بين حشرجة النازحين وحشرجة الطلقات  
عاشق قال:  
هذه هي الحرب  
تخلع قمصانها الخشبية  
تكشف عن عريها الحشري:

دماء وأرصفة  
و دفاتر مبنّلة بالنشيج  
دماء وعاشقة ودفاتر مبنّلة بالدماء  
دماء وأرغفة  
و أساور ضيّقة  
و مآذن واسعة  
و طيور تهاجرُ...  
مجزرة وشعوب  
مجزرة وزهور  
هذي هي الحرب تفتح نافذة الحبّ للقاتلين  
و للعاشقين ستفتح نافذة للقبور

\* \* \*

في الحروب التي ذهبْتُ  
في الحروب التي بقيتُ  
في الحروب التي حاولت أن تجيء  
كان وجه أليف لعاشقة يتمرّغ في الرمل  
و الألم الطبقي  
كانت العاشقات الوسيمات يخرجنَ للشرفاتِ

و يعرضن أجسادهنّ المدمّاة لله  
و الله كان يجيء القرى وبصحبته الجند  
كان يعبئ مئزره الملكيّ حروباً وينثرها في البيادر  
كانت بيادر من فضّة ومواعيد  
كانت بيادر من فضّة  
ثمّ كانت حروب  
و هل تذهبين إلى البيتِ  
أم تذهبين إلى الموتِ  
هل تذهبين إلى العشبِ  
أم تذهبين إلى الحربِ  
كنّا نسير نسير و تنقنا الطلقات  
و كنّا نسير نسير بدائرة قطرها ألف حزن  
يداً بيد ونغني  
يداً بيد ونموت  
و يا أيّها الموت لا تأتِ في الصيف  
إنّ الطيور تشاطرنا الصيف  
يا أيّها الموت لا تأتِ في مطر خائف وبعيد  
لا تأتِ

فالأرض عطشانة  
و المواسم مكسورة  
و الشعير سينضب  
و العاشقات سيكفين عشاقهنَّ  
و لا تأتٍ... لا تأتٍ  
لكِنَّه الموت يأتي  
و لكنَّها الحرب تأتي بهيئتها الحشريَّة  
تدخل من ثقبِ بابٍ  
و من ثقبِ نافذةٍ  
تتناسل في حانة - صحف - كتب  
تتناسل في جنث العاشقات  
ثمَّ تنده للقائلين: "استريحوا... استريحوا"  
و تطعمنا البؤس والطلقات

\* \* \*

عاشق قال:  
بعد نهارين من تعب و رصاص  
تجيء من الأرض عاشقة  
و تمدُّ يديها إلى مطر و إجاز

تمدُّ يديها إلى الماء  
تغسلُ ألسنة الخطباء وألسنة الرقباء  
تسجِّلُ أرصدة الفقراء التي ابتلعها الحروب  
على دفنِ شجريّ  
تمزّق قبعة الجنرال  
وقبل مسائين من مطر وإجاص أرى:  
تحت قبعة الجنرال قرىّ مصمست عظم أطفالها  
و يدين تقطّعتا  
و أرى تحت قبعة الجنرال:  
دماً ساطعاً  
و جماجم مكسورة تنتهجي حروف  
و في كل حرف مشاريع من حلم فاسد  
و أرى تحت قبعة الجنرالات  
مشروع حرب على الزهر  
مشروع حرب على النهر  
مشروع حرب على الفقراء  
و بين يدين تقطّعتا  
يهرب العاشقون من العشق

و الميِّتون من الموت  
و الفقراء من الفقر  
من ثمَّ تسقط قنبلة ويجيء الغزاة الأشداء  
من كأس شاي وسيجارة و صباح  
و من كأس شاي وسيجارة تبدأ الثورة العالميَّة  
أو تبدأ الأمنيات الكثيرات  
يبدأ الخطباء خطاباتهم  
و الجنود رصاصاتهم  
ثمَّ أفرغ من الحزن  
أقذفه تحت قبعة الجنرال  
و أركض في مقتل لا يحدُّ  
أنا الآن مقتنع ببلادي  
و مقتنع باضطهادي  
و في زمن لا يحدُّ أرى من أحبُّ على شاطئ  
تستريح من اليأس  
تسألني عن مكان لذيذ بلا شرطة  
نتبادل فيه الأناشيد والقبلات  
أجيب: هو البحر

قالت هو البحر. قالت هو البحر  
و ابتسمت.

## بعد ثلاثة أيّام

---

ما الذي سيحدث في هذا الضياء الواسع  
إذا لم تشرق الشمس  
لمدّة ثلاثة أيّام؟

ما الذي سيحدث في هذا الفضاء الواسع  
إذا توقّفت العاصفير عن الزقزقة  
لمدّة ثلاثة أيّام؟

ما الذي سيحدث في هذا الجحيم الواسع  
إذا تعطلّت أجهزة اللاسلكي  
لمدّة ثلاثة أيّام؟

ما الذي سيحدث في هذا المستنقع الواسع  
إذا توقّفت الضفادع عن النقيق  
لمدّة ثلاثة أيّام؟

ما الذي سيحدث في هذا القبر الواسع  
إذا فقدت السجائر من الأسواق  
لمدّة ثلاثة أيّام؟

ما الذي سيحدث في هذا الخنجر الواسع  
إذا توقفت أمريكا عن أكل لحوم البشر  
لمدّة ثلاثة أيّام؟

ما الذي سيحدث في هذا العالم الواسع  
إذا أضربنا عن اليأس  
لمدّة ثلاثة أيّام؟

و ما الذي سيحدث في قلبي الواسع  
إذا لم أحبك  
بعد ثلاثة أيّام؟

\* \* \*

منذ القبلّة الأولى على رقبتك الطويلة  
و حتّى الحرب العالميّة الثالثة  
التي لم تأت بعد  
كنت أوزّع الحبّ على النازحين  
و هم يوزّعون بطاقات الإعاشة  
كنت أوزّع الحبّ على السجناء  
و هم يوزّعون الصدمات الكهربائيّة  
كنت أوزّع المصانع في الصحاري

و هم يرصدون سجنأ لكل مصنع  
مذ انبثاق النار من احتكاك حجرين  
و حتئى اختراع القنابل العنقوديَّة  
كنت أوزَّع الحبَّ في القلوب  
كما يوزِّعون الرصاص  
كنت أنثر الأغاني في الطرق الجبلية  
كما ينثرون الألغام  
مذ أن جلس بوكاسا على عرشه العريض  
و أنا أحاول أن أحبُّه  
بعدَ ثلاثة أيَّام

\* \* \*

بعد ثلاثة أيَّام  
ستقابل عاملة في مصنع للنسيج  
رجلاً يصنع التوابيت  
بعد ثلاثة أيَّام  
السماء ليست سوداء  
و الأحاديث ستكون أجمل  
بعد ثلاثة أيَّام

ستقابل العاملة رجلاً  
هي لا تحمل حقيبة  
و هو لا يضع ربطة عنق حمراء  
بعد ثلاثة أيّام  
ستحدث مهزلة بسيطة  
- رغم أنّ كلا منهما لا يملك أجره تكسي-  
عندما تقول له:  
لا تستطيع أن أحبك  
إلاّ بعد ثلاثة أيّام

\* \* \*

راعي بقر مكسيكي  
يمتطي دبّابة سميّنة  
أسنانه في نهد خطّ الاستواء  
و أصابعه تلعب البوكر في داريا  
جزمته في طهران  
و دماغه في واشنطن  
راعي بقر مكسيكي  
أطلق قذيفة واحدة

فأصاب ثلاث عائلات

الأولى: لم تسمع بالأمم المتّحدة

الثانية: لم تسمع بالأمم المتّحدة

الثالثة: لم تسمع بالأمم المتّحدة

راعي بقر مسكيكي

أطلق قذيفة واحدة

فتقّب قلبي من ست جهات

شحذت سكينني ببرود

أيّها الراعي... أيّها الراعي

تعال لأحبّك!

\* \* \*

بعد ثلاث قبلات

بعد ثلاث قذائف

بعد ثلاثة أرغفة

بعد ثلاث مجاعات

بعد ثلاث حروب

بعد ثلاث جرائم

بعد ثلاث مصفّحات

بعد ثلاث مراوح كهربائية  
بعد ثلاث جثث  
بعد ثلاثة أرانب  
بعد 24 سنة من التعب البارد  
من يستطيع أن يحبني  
بعد ثلاثة أيام؟.

## نيكاراغوا. نيكاراغوا

---

دم أبيض وأزهار سوداء  
نوافذ تطلّ على البحر  
و نوافذ تطلّ على المقابر  
فتاة جائعة تمشّط شعرها بإتقان  
مياه صلدة  
أغانٍ بليدة تتحدّث عن الحبّ والفراق  
عجوز معبّأة بالذكريات والسعال  
دفاتر ممزّقة ونشيح مكتوم  
نيكاراغوا

\* \* \*

مصانع لإنتاج الأدوية الغالية  
و أخرى لانتاج الأمراض الرخيصة  
طائرات لنقل البشر إلى الحروب  
و أخرى لنقل البشر إلى الغابات الجميلة  
أراضٍ لزراعة البرسيم والقمح والبتروول

و أراضٍ لزراعة الفيروسات والجماجم والتوابيت  
نيكاراغوا

\* \* \*

مدينة عذبة بشفتين ناريتين  
شوارع عريضة للنمور والفئران والسجون  
و شوارع ضيقة للأبقار والعصافير والحرية  
نيكاراغوا

\* \* \*

مكاتب لاستئجار وتأجير البيوت  
مكاتب لاستئجار وتأجير المقاعد  
مكاتب لاستئجار وتأجير الصحاري  
مكاتب لاستئجار وتأجير الكتّاب  
مكاتب لاستئجار وتأجير النجوم  
مكاتب لاستئجار وتأجير الأسماء  
مكاتب لاستئجار وتأجير الهواء  
مكاتب لاستئجار وتأجير القمر  
نيكاراغوا

\* \* \*

نابليون يتبادل الأنخاب مع القيصر  
بريتون يشتم سلفادور دالي  
الليندي يتنازل عن السلطة للفاشييين  
بردي يصبّ في الميسيسيبي  
شعراء يشتركون في سباق الخيول  
و حدّادون يكتبون الروايات الجميلة  
نيكاراغوا

\* \* \*

سندويتش مهربّ عبر الحدود  
ساحرات يقطنّ علب الكبريت  
أرانب تتعلّم ركوب الدرّاجات  
نسانيس تشرب الكازوز في الشواطئ  
جيوب محشوّة بالمدرّعات  
ألسنة مطلّية بالنيفيا  
تحبّيات منلّجة  
قبلاّت عوراء  
سياط ملوّنة كالطواويس  
و طواويس بلا ذبول معروضة في الحدائق العامّة

نيكاراغوا

\* \* \*

برّادات لحفظ الجوع من الذوبان  
طناجر بخاريّة لطبخ الألم والضياع  
ستائر لطرده الشمس من البيوت  
رصاص لطرده الثوّار من الحياة  
مختبرات لمعالجة الغازات المسيلة للأرواح  
إذاعات لترويج العنف والمقاتق والبضائع الكاسدة  
و تلفزيونات لترويج الأكاذيب  
و متاحف لعرض الجثث وصور الأحياء  
نيكاراغوا

\* \* \*

كتب محكوم عليها بالإعدام  
فراشات محكوم عليها بالأشغال الشاقّة المؤبّدة  
مياه آسنة تسيل من سقف مثقوب  
عاشق ينظر من الثقب ويغني لحبيبة بعيدة  
حبيبة بعيدة معلّقة من نهدتها في الساحة العامّة  
فلقد حلمت مساء البارحة بصياح الديكة

نيكاراغوا

\* \* \*

نون نائمة تحاول أن تستيقظ الآن  
يأء يائسة عثرت على وردة في الطريق  
كاف كئيبة يعزف تحت نافذتها رجل بالأكورديون  
ألف أهلة بالرقص والثورات  
راء رطبة تجف جسدتها من الفاشستيين  
غين غريبة ضمته ذراعان دافئتان  
واو واسعة تتسع للجميع  
نيكاراغوا

\* \* \*

امرأة مجنونة وشعر محلول  
أغنية ساقطة تبحث عن ملحن  
نيكاراغوا

\* \* \*

منفضة سجائر بحجم نيكاراغوا  
مجمرة طويلة ودخان كثيف  
نيكاراغوا

\* \* \*

أسلحة في الشوارع  
أسلحة في الثلاجات  
أسلحة أثرية معلقة على الجدران  
أسلحة بيضاء مخبأة في الأحذية  
أسلحة صغيرة تحت الوسائد  
أسلحة كبيرة على الأسطح  
أسلحة في الأصابع  
أسلحة في الأدمغة  
أسلحة في القلوب  
نيكاراغوا

\* \* \*

أرغفة تصفع الناس في الصباحات الباردة  
رجل يخلع جواربه ويقفز إلى السماء  
امرأة تخلع عينيها وتطارد الغزلان  
طفل يفجر بالونه ويطلب بمسدس  
نيكاراغوا

\* \* \*

نيكاراغوا ورق أبيض وكتاب مفتوح

نيكاراغوا آتية

نيكاراغوا قريبة

نيكاراغوا على بعد ثلاثة أمتار من هذه القصيدة

## ذات يوم فوق سرير شاسع

للمرّة الألف أرجوك لا تذهبي  
للمرّة الألف آخذك بيديّ  
و أركض في حقول الألغام  
في حقول الدم  
في حقول الحنطة  
و أرجوك لا تذهبي  
لا تذهبي وفي عينيكِ غزاة مذبوحة  
لا تذهبي وتحت جلدك يصفّر الموتى بشفاههم المعطّلة  
لا تذهبي يا عزيزتي لا تذهبي  
تعالى وقبّليني قبل أن تذبح شفّتيكِ المرتعشتين  
سكاكينهم الطويلة  
تعالى لنثرثر بسهولة وألم  
تعالى لنتحدّث مثلاً:  
عن الديدان التي تغزو السنابل  
عن المعادن التي تقزقرز أصابع العمّال بطريقة عجيبة

حدّثيني عن السهول ذات الخضرة الضارية  
عن الوعول التي تقفز بسعادة بالغة  
و هي تقضم عشب الفرح بحريّة لا تشبه إلاّ قلبي  
حين يخفق بأعلامه السوداء

فوق ثكنات المحاربين الذين يحلمون فقط

- بثلاثة أمتار من الراحة

- بدوش ماء بارد

- بامرأة تغني بصوت حزين

و طفلة تقول لكل رجل تصادفه: أريد بابا

حدّثيني عن الدنيا وقارّاتها الخمس

و حدّثيني فيما بعد عن الزمن

و حدّثيني عن العصور جميعاً

إبتداءً من العصر الحجري القاتل

و انتهاءً بعصرنا السّفاح

حدّثيني عن السّفاحين المنتشرين في:

السفارات، الأزقّة، دور السينما، المطابخ، علب

الكبريت، زجاجات مياه بقين، أحذية باتا، ولأعات

رونسون، شركة ميكرو فيلم، جوارب أو غاريت...

حدّثيني لأحبك

حَدِّثْنِي لِأَحَبِّكَ

"أَحْبُكَ"

هذا ما يقوله السنديان للمطرقة.

"أَحْبُكَ"

لي نهار في المعصية

و لي أزهار في الطرقات

"أَحْبُكَ"

هذا ما أقوله أنا

هذا ما يقوله الرجل الذي من خلفه النوافذ تهوي

و من تحته الأرض تنُّ

"أَحْبُكَ"

لي ثلوج في جميع المدافئ

و لي وحل في جميع الشتاءات

لي الحائط الكتيم

الأصفاة الثقيلة

الزمن البطيء

و لي الزهر الذي يتدفَّق من رنتيكِ

تنفَّسي يا حبيبتي تنفَّسي

فهوذا الهواء ينبح في الأزقة بصوته البليد

هوذا الدم يسيل فوق لحم الشرفات

و أنا ملتفٌ بقلبي

و قلبي يقرع أجراس الأجساد الرثة

أيتها الأجساد الرثة المغسولة بالحبّ وعصير البرتقال

أيتها الأشجار الصاخبة

المغلفة بالأيقونات وصور القديسين

أيتها الأحجار/ المقابض/ الأسطحة/ الأحذية/ الأعلام/

القواميس/ الرجال/ النساء/ القطط/ الفؤوس/ الهراوات/

الشياطين/...

تعالوا واستمعوا إلى خرير الإرهاب في الشوارع

تعالوا إليّ جميعاً

تعالوا إليّ بدون استثناء

- أيتها المرأة تعالي لأضمك

- أيتها الطفل تعال لأقصّ عليك حكاية الذئب والأرنب

- أيتها العاري تعال لأكسوك بالقبلات

- أيتها الحقول الجافة تعالي لأهيك خضرة دمي

- أيتها الشمس لماذا ترتعشين من البرد

و حطب قلبي مهياً للاشتعال؟

و يا أَيُّهَا الأَسْئَلَةُ

يا أَيُّهَا الأَسْئَلَةُ

تعالى لنكسر معاً زجاج النوافذ

التي تحجب عنّا نضارة الصراخ

سأسأل الصبايا:

لماذا أنتنَّ مكتنبات

و موسيقى ديميس روسوس معبّاة في زجاجات الكازوز

سأسأل الجائعين:

لماذا لا تأكلون أطنان التفّاح

التي يهدرها الإمبريالّيون في البحر يومياً؟

سأسأل أشجار الزيتون في ضواحي دمشق:

من اختلس أوراقك في الليل

و جعل منها وسادةً للسفّاحين؟

سأسأل السفّاحين عن الأشجار

الأشجار عن الشوارع

الشوارع عن الاضطهاد

الاضطهاد عن حبيبتى

و أقول لحبيبتى

أقول لحبيبتى التى تبىع الجنارك والمانجة فى باب توما:

إننى مرهق كثعبان ابتلع بىضة

و أقول لحبيبتى

و أنا أصغى إلى زقرقة الموتى فى التوابىت

إلى هدىل الحرب فى البلاد:

تعالى لنمشى و ننتذكر كيف كان الملوك يئتحرون

لأن عىنن حافىتین انطفأنا

لأن قلباً و سىماً أضاء

تعالى لنتفاءل بذات يوم فوق سرىر شاسع

ذات يوم فوق سرىر شاسع، حىث:

- العصافىر

تقصف الطائرات

- الشهداء

ىضعون القتلة على الكراسى الكهربائىة

- الزهور

تسن للرىصاص شفرات المقاصل

و الحرىة

تعتصب

السجون

ذات يوم فوق سرير شاسع

أفتح ثغرة في لحمك الذي يحترق أيتها الأرض

و أقذف إليك بدماري.



## أساطير يومية

"الفن هو فرح الإنسان في أن يكون ذاته،  
بأن يحيا وينتمي إلى المجتمع".  
فاغنر



رأيت أنّ الأرض مثلّت ببيرمودا واسع  
يبتلع الأطفال والشجر والفلاحين  
ثمّ اكتشفت، فيما بعد، أنّ الأرض كروية  
ففكرت بوجود بعض الأمكنة  
لا يبتلع فيها الماء شيئاً  
أمكنة صغيرة جداً...  
على سبيل المثال:  
ثمّة رجل يقتل امرأة  
دون أن ينظر إلى ساعته.

## الولد/الفتاة

---

"- إذا لم تحبني  
أيُّها الولد اللطيف  
سأردُّكَ إلى أُمِّكَ..."

- إذا لم تحبِّيني  
أيُّتُّها الفتاة الشرِّيرة  
سأردُّكَ إلى القبر."

و أنا أتذكَّر أنَّ بين شجرة الليمون والمستنقع  
بين الهواء والضفائر الساطعة  
بين الأسنان الجائعة واللحم  
بين الموسيقى والغبار  
بيني وبين أُمِّي  
بيني وبين قبيري:  
فتاة لطيفة  
و ولداً شرِّيراً!

## لماذا

---

لماذا نحبُ بعضنا بعضاً  
ما دام جيبي محشوّاً بالأجراس  
و جيبك محشوّاً بالجثث؟  
لماذا نقلُّ بعضنا بعضاً  
ما دام فمي رأس أوزة حمراء  
و فمك عمود كهرباء متغضّن؟  
لماذا نرسل لبعضنا البعض الرسائل  
ما دمتِ تحاولين أن تعضّي الزمن  
و أنا أحاول أن أقطع المسافات؟  
و فيما بعد إذا تزوّجنا  
هل ستصرّين على سرير من خشب الزان  
أم ستستلقين بكامل أناقتك على الرمل المبلّل؟  
لنبقَ بعيدين إذاً  
يدك تتنأب على الوسادة  
و يدي ترعى قطعان الرصاص

و فيما بعد إذا التقينا في مقبرة واحدة  
لن أنكر أبداً أنني أحببتك.

## الشبه

---

يا امرأة من لحم و صنوبر وأحجار  
إنَّك لا تشبهين أحداً سوى رأسي  
رأسي المعبأ بالشوارع والجثث والكلابات  
إنَّك لا تشبهين أحداً  
لذلك أرفض أن تمتدَّ يدك لاشعال سيجارتي  
يا امرأة قصصت عليها أسطورة كو - نغاي  
ألا أبدو لك كقاعدة أرضية  
لاطلاق الأغاني على البشر  
فلماذا تنظرين إليَّ ببلاهة؟

## مياه مالحة

---

نحن الأطفال البلهاء  
الذين لم نغمس أجسادنا بالماء المقدّس  
لماذا لا نذهب إلى البحر  
لنسنّ أسناننا بمياهه المالحة  
و نعود إلى الوطن بقلوب قويّة؟

أنا رجل وسيم  
طولي 167 سم  
أنا تراكتور معطوب  
أبحث عن عمل منذ ثلاثة أشهر وتواييت  
جلست في المقهى لأشرب شاياً ممزوجاً بالدبابيس  
جلست في مقهى  
النساء فيه يتدلين من الأشجار  
كما تتدلى مصابيح النيون في معرض دمشق الدولي  
أنا رجل وسيم  
قال لي صديقي: "مدّ يدك واقطف امرأة".  
أيها الصديق الجاهل  
الحبّ قطاع خاص  
و لذلك علينا أن نفعل شيئاً.

## قلب مكسور

لي قلب مكسور كسفرجة  
لدى كل رجل قطعة منه  
اجمع الرجال وقل لهم:  
نحن لسنا لصوصاً  
إننا نعمل ثماني ساعات في اليوم  
و من حقنا أن نأكل السفرجل  
اجمع الرجال جميعاً فتجمع قلبي  
قلبي المكسور كسفرجة

## ذلك الطفل... تلك المرأة

ذلك الطفل الذي يقرأ في مجلة قديمة  
إنه يفكر كيف يستطيع أن يخرج الشمس من رداؤها  
الناصع ليشاطرها الاحتراق  
ذلك الرجل في رداؤه الشفاف  
إنه يفكر كيف سيستطيع أن يقبض على المرأة الهاربة  
ليشاطرها الحبّ أمام جميع المخلوقات  
و تلك المرأة  
المرأة الهاربة كرمل ناعم من بين أصابع طفل  
- طفل يقرأ في مجلة قديمة-  
تمدُّ يدها إلى الشمس  
و تردُّ للعالم أشياءه  
إنها أشياء صغيرة جداً  
بيوت، وحوانيت، وأرصفت، وجوع  
و أيضاً  
قصيدة نائمة في مجلة قديمة

## إِنَّهَا تَقْتَرِبُ

---

هي ذي تقترب كسفينة محملة بالجنث  
الساعة ذات الرقاص الرتيب تؤكد على ذلك  
النهار ذو الشمس المنهكة يؤكد على ذلك  
و البيوت المتراصة كعيوان كبريت في علبة صغيرة  
تؤكد على ذلك  
و أنا أؤكد لكم  
أنها تقترب كسمكة قرش مريعة  
إنها تقترب كقنبلة معطوبة  
و معها يقترب كل شيء من كل شيء  
اللحم من السكين  
المدافن من الجنث  
و النار من زجاجة بنزين سريعة الاشتعال  
إنها تقترب  
إنها تقترب  
ساعة الذهاب إلى الموت باطمئنان

و حزن شديد  
حيث يبحث الجائع في القمامة عن الأغاني  
و العصفور عن السماء الزرقاء في الغرف المقفلة  
و الثائر عن الحصان تحت الوسادة  
إنَّها تقترب وأنا لست وحيداً  
إنَّها تقترب وأنا أحاول أن أبدو أقلّ حزناً  
إنَّها تقترب وأنا أقذف قطعة السكر في فمي  
و أذهب إلى المدرسة في القرى الموحلة  
أطارد الدجاج في الطريق  
و أتعلّم كيف أقبل الفتيات الصغيرات  
و أسرق لهنّ التوت من الأشجار الواطئة.

## ورق

---

ورقة بيضاء كانت  
ورقة بيضاء فقط  
لم يكتب عليها العاشق رسالة  
و لم تطبع عليها الدولة قانوناً  
ورقة بيضاء نقيّة كالنبع  
لم تمسكها يد  
و لم تمزّقها أصابع  
ليست هويّة شخصيّة  
و لا بطاقة مجانيّة لزيارة المعتقلات  
ورقة بيضاء فقط  
قدّمتها لحبيبي  
فكتب عليها كلمة (أحبك)  
و لم يستطع أن يقتلني!.

## ثورة صغيرة

---

بعد قليل

سأقوم بثورة صغيرة

في هذه الغرفة السوداء

أمزق الكتب والأحزان والصور القديمة

و أضع الكرسي مكان المدفأة

بعد قليل... بعد قليل

سأفكر بالزهور ويعاسيب الغابات

و الخيول المرتعشة خلف القضبان

بعد قليل

سأقوم بثورة صغيرة

أضع رأسي فوق الوسادة

أغمض عيني على حلم متوحّش

أمدّ يدي إلى قلبي

و أغني لروزا لوكسمبورغ.

لستُ سيئاً بما فيه الكفاية  
لأضع السيف على عنق الحصان  
و أبصق على الأرض بحقد قائلاً:  
(- انزل عن الحصان يا ترانتيان الجبان  
انزل وبارزني.)  
ذلك أنّ السيوف وضعت في المتاحف  
و الأحصنة أصبحت للسباق  
و البصاق تجمّد في الفم  
أمّا الفرسان الثلاثة فماتوا  
و تركوا حصان الشعب في الحلبة  
يصهل ويعضّ الأحجار  
طالباً الطغاة للمبارزة.

## أطوار غربية

---

أطواري غربية هذه الأيام  
إنني أرقص دائماً  
و أنظر إلى الخناجر التي تغوص في اللحم  
و على شفتيّ ابتسامة من نوع ما  
لقد تذكّرت البارحة أغنية لطيفة  
أغنية وقطيعاً من الصخور  
أغنية وبحراً هائجاً كثور  
أغنية ورجلاً ميّتاً  
ينظر إلى الأفق بعينين جاحظتين  
أغنية... ورقصتُ  
كانت أطواري غربية  
فلم أغلق عيني الرجل بهدوء وحزن  
كما يفعلون في الأفلام  
لكّني تساءلت:  
لماذا يموت الرجال هنا وهم ينظرون إلى الأفق؟

لم يحببني أحد  
لم تحببني سوى أغنية وقطيع من الصخور  
فمددتُ كَفِي إلى عينيَّ  
- عينيَّ اللتين تنظران إلى الأفق-  
و أغلقتهما بهدوء  
كان يجب أن أحزن وأتألم  
كما يفعلون في الأفلام  
لكني رقصت  
إنني أرقص دائماً  
فأطواري غريبة هذه الأيام.

## اطمئنان

---

حجر بعد حجر  
لن أسقط  
كمدينة محاصرة

\* \* \*

ورقة بعد ورقة  
لن أسقط  
كشجرة في الخريف

\* \* \*

جئة بعد جئة  
لن أسقط  
في مذبحه عليّة  
تحت ظلّ القانون

\* \* \*

أمام دَبَابَاتِ الامبرياليَّةِ  
سأسرِّحُ شعرَ قلبي  
و أنظرُ إلى الموتِ باطمئنانٍ.

في الأزمنة البعيدة  
في الأزمنة القريبة  
كان يرعى برسيم الحروب كخروف صغير  
حاصر المدن كما يحاصرون زوجاتهم في الفراش  
اعتدى على الأفئدة والأشجار والحيوانات الأليفة  
و بمساعدة رشاش صغير يزن 5 كغ  
اغتصب امرأة وقرية ومساحات شاسعة من الموسيقى  
و بمساعدة بذلة عسكرية  
و عينين قاسيتين  
و أظافر طويلة  
منع الشمس من أن تزور ثلاثين رجلاً  
و قطة  
و أربع دجاجات  
و عندما مات كما يموت الجميع  
كان بعض شفته السفلى بضراوة

و يبصق على نفسه بدون استئذان أحد  
و لم يترك - كما تعلمون -  
بوليصة تأمين لأولاده.

## فنان

---

وحيداً في الليل  
أو وحيداً في النهار  
استطاع أن يضع البحر والصحراء  
الذئب والشاة  
القاتل والقَتيل

في إطار مساحته  $7 \times 3$   
إطار مزدحم بالخطوط والألوان الغريبة  
و وحيداً في الليل  
أو وحيداً في النهار  
كان ينظر إلى لوحته ويفكر بقلق:  
النافذة مغلقة جيداً

و لا شيء في الشارع سوى الغبار  
فلماذا لا أجرؤ على البكاء أو النوم؟.

وعندما كان الناس يرقصون  
أو يشاهدون الأفلام الهزليّة  
رأيته يحمل الخضار للجوعى  
و الحقائب للمسافرين  
البترول للطائرات  
و الألعاب للأطفال

وعندما كان الناس يتشاءبون في فترة الظهيرة  
أو يمارسون الحبّ في الحمّامات  
كان يحمل السمك من البحار  
و القمح من الحقول  
الورد من الحدائق  
و الكتب من المطابع  
و في يوم ما  
الأربعاء أو الخميس أو الجمعة  
جاءت سيّارة بيضاء

و حملته إلى المقبرة!.

## زوربا

---

زوربا أنا لا أعرفك  
أنت قديس أم ثائر؟  
حبة خوخ ناضجة  
أم مصباح بترول زهيد الثمن؟  
زوربا  
لقد أحببت نساء بعدد الشياطين التي تلقاها جسديك  
و تلقيت من الهزائم بقدر الرسائل التي كتبتها لعشيقاتك  
كنت شيوعياً في مصر  
و رأسمالياً في البلقان  
إذاً، يا زوربا  
أقديس أنت أم ثائر؟  
عندما كانوا يصنعون الأسلحة  
كنت تحاول إنقاذ الأرامل من الذبح  
عندما كانوا يرقصون الروك أند رول فوق الجثث  
كنت تعمل في المناجم بقوة 300 حصان

عندما كانوا يبتكرون الغازات المسيلة للدموع  
كنت تبتكر الغازات المسيلة للفرح  
و مع ذلك، يا زوربا، أسألك:  
أقديس أنت أم ثائر؟  
لقد عشت في زمن ثمن الإنسان فيه دولار واحد  
و ثمن البقرة أربعين دولاراً  
لقد عشت في زمن يسيل فيه الويسكي  
بالكمية التي يسيل فيها الدم  
لقد صنعت حضارات الدنيا  
و أسعدت البشرية لقرونٍ طويلة  
و لكن لماذا عندما متّ  
يا زوربا المسكين  
لم ترثُ زوجتك منك  
سوى آلة موسيقية ثمنها ربع جنيه استرليني؟.

(إلى ن. أبو عفش)

وإنَّها لكذلك  
إنَّها وظيفة الخارجين من خنادق الألم  
حيث كل شيء مباح  
الينابيع والخناجر والكواكب  
و حيث كل شيء مفتوح  
الركض والنحيب والقبلات  
و البحث عن اليورانيوم في حويصلة رجل ذبيح  
إنَّها وظيفتك أنت  
و إنَّك لكذلك:  
متين كالماء  
واسع كالصدي  
متيناً كالماء رأيتك  
عندما كانوا يقتحمون دماغك ليصادروا منه:

الأسرة التي أعدتها للعشاق  
و الأشرعة التي أعدتها للمراكب  
أسلحة سبارتاكوس

عيني هيلين

و نظرية أينشتاين النسبية

و واسعاً كالصدى رأيتك:

عندما كان صوتك نقاعة

تتدحرج في القلب

قنبلة من زهور وأرغفة

وطناً شاسعاً

و غطاء تدثر فيه أزقتك الباردات

عندما كان صوتك مذبحة لمذابحهم...

قلت لي:

إن هيلين أنثى مقدسة

قبضة من نهار وأحصنة

وطن للمصابين باليأس

نافذة، مطر

إن هيلين.../

وإنَّها لكذلك  
وإنَّها لكذلك  
إنَّها وظيفة الخارجين من خنادق الألم  
حيث يطاردون الكلاب والفقراء  
و يباد الذباب والقصائد بالديت  
و حيث كل شيء مباح:  
البكاء على القبور  
و الضحك في الليالي المقمرة  
زرع الطيور في حناجر الموتى  
و اصطياد الأرانب من دور السينما  
إنَّها وظيفتك أنت  
و إنَّك لكذلك  
قريب كالحروب  
بعيد  
كالأغاني.

## هيروشيما

---

في رأس السنة الجديدة  
و كايين بار  
سأجمع البحار والأشواق والأفكار الطارئة  
و أرسلها بالبريد المضمون  
إلى أمي  
أمي التي ما زالت تتنفس أو كسجين العبودية  
و تلتهم فطائر الإرهاب  
منذ أن امتدت يد الإنسان إلى الإنسان  
و جعلت منه مزرعة لانتاج الحاسبات الالكترونية

\* \* \*

في رأس السنة الجديدة  
سأجمع الصحف والمقابر والحانات  
الإعلانات والشوارع وأماكن العبادة  
و أعينها بمحفظتي  
كما تعبي الفلاحات جرار الماء

من الينابيع البعيدة  
أدجّن بهدوء  
ناظراً إلى الفضاء المنتشرة  
كانتشار الذباب فوق قطعة حلوى  
هنا الماء وهنا الصحراء  
هنا العطش حتّى الارتواء  
و هنا الجوع حتّى التخمة  
و هنا باستطاعتك أن تشتري أصابع الأطفال  
من الحوانيت  
لتعلّقها في غرفتك  
بجانب لوحات فاتح المدرّس  
هنا الماء وهنا الصحراء  
هنا القيود الممتلئة  
و هنا القلوب النحيلة  
و من المطاعم كما في الحقول  
من المدافن كما من علب الكبريت  
تخرج حجافل الاستعمار  
لتكتسح الأناشيد والأفئدة وأقلام الحبر الجاف

تعالوا... تعالوا  
أيها الهولنديون والدانمركييون والأمريكيون  
تعالوا لنشرب القهوة ونتبادل الأنخاب  
تعالوا لنحتفل بسقوط القنبلة الذرية الثانية  
بين عيني هيروشيما

\* \* \*

في رأس السنة الجديدة  
سأجمع أسماء الطغاة كما يجمعون الطابع التذكارية  
في "ألبوم" ضخم من ورق الأيام  
أضع فرانكو بجانب سالازار  
موسوليني تحت هتلر  
السادات أمام سوموزا  
سميث بين ساقى سالومي  
و أعطيتهم حرية الموت تحت سنابك التاريخ.

## أغنية رجل متعب عائد إلى البيت

هذه الدنيا الموشكة على البكاء  
برتقالة أم حجر  
سمكة أم تمساح؟  
و هذا القمر  
الذي يطلّ كل مساء  
بثيابه الرثّة  
ماذا يديه إلى سكارى منتصف الليل  
كشحاذ عتيق  
هل أسأله من أنت؟  
أم أغرز أسناني في رأسه؟  
رأسه الذي كحبة جوز فارغة  
تتطوّح في هواء منتصف الليل.  
أنظر إلى القمر كرومانتيكي عريق  
و خنصري أمام أنفه  
- سأخاصمك يا قمر

أَيْهَا الْأَصْفَرِ الْكَبِيرِ  
لَنْ أَشْرَبَ مَعَكَ الْقَهْوَةَ  
وَلَنْ أُرْكُضَ مَعَكَ فِي الْبَرِّيَّةِ  
لَنْ أَتَحَبَّ أَمَامَكَ كَعَاشِقٍ  
وَلَنْ أَحْجُبَ وَجْهَكَ كَغَيْمَةٍ  
وَكَجُنْدِيٍّ مَهْزُومٍ عَائِدٍ مِنْ حَرْبٍ عَادِلَةٍ  
سَأَنْظُرُ دَائِمًا إِلَى الْأَسْفَلِ  
رَاكِلًا الْحَصَى وَالْمَتَاعِبَ بِيُوزِ حِذَائِي  
وَأَنَا أَفْكَرُ بِالْمَجْهُولِ!

## فيما بعد

---

فيما بعد

بعد عشرين سنة أو برتقالة أو سيجارة

أجدها هنا

أجد حبيبتى التي من قطن وجسور ومساكن

تفتش عن قطرة المطر المتكسرة

بين أسنان الرمال

فيما بعد

بعد عشرين خنجراً أو صديقاً أو رحلة

أجدها هنا

أجد الأصابع العشرة النائمة في سريري

و العينين المغلقتين كطفل مصاب بالكآبة

فيما بعد

أفتح الباب وأدخل كالهواء

أفتح الأرض وأدخل كالقمر

فأجدها هنا

تعدُّ ببطء السنوات التي قضيناها بتبادل النار  
و قراءة الأنباء المؤلَّفة في الجرائد  
و أجدها هنا

شرفة تطلّ على البشر بحنان  
و إعلاناً يقرؤه المارّة دون أن يتأسّفوا  
على العمر الذي اختفى ببلادة  
و أجدها هنا تقول لي:

افتح رنتيك على الأعشاب  
و دماغك المليء بالكدمات على الأرصفة  
فيما بعد. فيما بعد. فيما بعد  
ثمّة طفل، حجر، حصان، إمراة أو عربة  
تضع بين يديك البلاد  
و تدعوك إلى النزهة  
بدون أن تسألك:

هل ثمن حذائك 44 ليرة  
أم ليدك اليسرى ستّة أصابع!.

## الكلمة الأخيرة

---

عن النقط السوداء الكافرة والقبلات الممنوعة من  
التداول

عن امرأة كسول تركت خلفها قميصها الممزق  
و رسائلها الخضراء

عن فتاة كانت تحدّثني عن الديوك مساء الاثنين  
و عن المقاصل مساء الاثنين

عن الطفل الذي يريد أن يخدش وجه القمر بأظفاره  
الطريّة

و الرجل الذي يريد أن يثقب قلب الطفل بسكينه المدبّبة  
عن الخضار والمشانق والأزمات والمشانق

عن الحروب المعبّأة في الثلّجات  
و السلام المحنّط في الشوارع

عن الحبّ والأحذية والامبريالّيّة

عن حليب الماعز وحليب الأمّهات

عن جدول ضرب الموتى وعمليات تقسيم الجثث

عن الأوطان البعيدة والوطن القريب  
عن كومونة باريس وصناعة المرطبات  
و ثياب الهبييين و علي كتحدا  
عن الآلهة الطيبة وأكاذيب إذاعة مونت كارلو  
عن أسناني وأهدابي وجواربي القديمة  
عن الأرض التي سقطت والسماء الموشكة على  
السقوط...

كتبت وكتبت وكسرت الأقلام  
أقلام زهيدة الثمن كرأسي  
و أقلام غالية اختلستها من جيوب أصدقائي  
أقلام بيضاء بلا رائحة  
و أخرى سوداء كوجه صبي باعني ورقة يانصيب  
قرب جسر فكتوريا  
أقلام حمراء أحتفظ بها للأوقات الخطرة  
و أخرى خضراء أكتب بها الرسائل لحبيبتني  
كتبت وكتبت وكسرت الأغاني  
كتبت وكتبت ولم أحتفظ إلاً بقلبي  
قلبي الذي أحيته قبل أن أنام تحت وصادتي

خوفاً من قطع الطرق والمسدسات اللطيفة  
إنه الآن يريد أن يفرّ من قفصه الصدري  
ليبحث عن عمل ورغيف أبيض  
و فتاة ينام معها في غرفة صغيرة  
مفتوحة دائماً للأصدقاء والكتب والعصافير.

**بسيطُ كالماءِ..  
واضحٌ كطلقةٍ مسدّس**



( لِمَنْ أَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ  
الإخوة أشد رار  
والأصدقاء ليسوا أصدقاء حـبـ.  
لِمَنْ أَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ  
القلوب قلوب لصوص  
وكلُّ رجل يغتصب ما عند جاره).  
شاعر مصري قديم



## تفصیل



## رائحة ما...

---

هناك رائحة ما  
ليست كرائحة الملابس القديمة  
و بطاقات التعزية  
و المستنقعات  
رائحة ما...  
حادّة، متردّدة، مسكينة  
كدموع بنت تبكي دميتها المحطّمة  
رائحة...  
تدخل غرفتي بخجل في الصباحات الباكرة  
تغسل وجهي  
و تستمع مثلي لأغنية حزينة آتية من الأعماق  
رائحة...  
تذكّرني دائماً  
بجنود عائدين من الحرب  
و بحر

و فتاة كانت تطاردني ضاحكة  
في حقول القطن.

## سورية

---

يا سورية الجميلة السعيدة  
كمدفأة في كانون  
يا سورية التعيسة  
كعظمة بين أسنان كلب  
يا سورية القاسية  
كشرط في يد جرّاح  
نحن أبناؤك الطيّبون  
الذين أكلنا خبزك وزيتونك وسياطك  
أبدأ سنقودك إلى الينابيع  
أبدأ سنجفّف دمك بأصابعنا الخضراء  
و دموعك بشفاهنا اليابسة  
أبدأ سنشقّ أمامك الدروب  
و لن نتركك تضيعين يا سورية  
كأغنية في صحراء.

## القراصنة

---

قلت للسفن:  
إذا رأيت القراصنة  
بسيوفهم الطويلة  
و قلوبهم الخرساء  
فاسألهم لماذا...  
لا يستطيعون سرقة البحر؟

قلت للموت:  
عندما تأتي إليّ لتدمر حياتي  
فالرجاء  
أن تدمرها بلطف  
ثم قلت للموت:  
لا تقترب مني  
كيلا تعود إلى أمك  
بعنق مكسور.

مساءً جاء الرجال متعبين من المرعى  
مساءً جاءت النساء متعبات من الحقول  
للرجال قلوب موشكة على السقوط  
وللنساء عيون موشكة على البكاء  
في المساء جاؤوا ورقصوا حتى الصباح  
الجرح صار أغنية  
والتعب مزماراً  
غير أن رجلاً ما  
ظلَّ جالساً في الزاوية البعيدة  
البندقية بين يديه كأفعى  
و الحياة في عينيه زمن من فخار  
الرجل الذي ينظر بصمت  
لا يبدو أنه يشاهد التلفزيون  
و لا يبدو أنه يحلم  
و لا يبدو نائماً

اللئيم  
ما الذي يفكر فيه؟

لدينا كل شيء

مليون رغيف لمليون جائع

مليون قبلة لمليون عاشق

مليون بيت لمليون متشرّد

مليون كتاب لمليون تلميذ

مليون سرير لمليون متعب

لدينا كل شيء:

للصيف لدينا بحر

و للشتاء لدينا مدافئ

للقطارات محطات كثيرة

و للسوّاح آثار

و آلات تصوير.

لدينا كل شيء

سوى أن أغلبنا لا يملكون النقود والرصاص

لذلك من الأفضل ألاّ نتفائل كثيراً.

من سيفتح لي صنوبر الحياة لأشرب  
إذا جفَّ قلبي تحت هذه السماء الخائنة؟  
من سيغني لي أغنية في المساء لأنام  
إذا وضعوا بين جفني صخرة مدبَّبة؟  
من سيخرجني من هذه البئر العريقة  
لأرى أشجار الصفصاف تحت ضوء القمر؟  
من سيحل لي هذه المسألة البسيطة:  
(إذا كنَّا نرتدي النار  
كيف نستطيع أن نخلعها؟)  
من سيشتري كفنًا للشمس إذا ماتت؟  
من سيفتح للقتيل الباب  
إذا جاء لزيارة صديقه بعد منتصف الليل؟  
من سيذهب معي إلى السينما  
و من سيمشي معي في هذا السجن الطويل؟

## لا شك بذلك يا ديكارت

---

لا أشك مطلقاً

على الأقلّ عندما أكون حزيناً  
بأن الخشب يطفو على سطح الماء  
و القطط تتغذى بالفئران  
و الأشجار تزهر في الربيع.

لا أشك مطلقاً

بالسكين التي تقطع اللحم  
و المطر الذي يقطع العطش  
و الاثنين الذي يقطع الطمأنينة.

لا أشك مطلقاً

كما يعلم الجميع  
بأنّ واحداً زائد واحد يساوي اثنين  
و أنّ قليلاً من الملح والخيار والبندورة والبقدونس  
المفروم يساوي سلطة.  
و لكن ما أشك فيه

يا ديكارت المجنون  
بأنّ أكلوبة وأكلوبة  
و بناية فوق بناية  
و مستنقعاً قرب نهر...  
يساوي ثورة!.

## كهنة بشوارب طويلة

---

قالت المرأة:

أريد أن أعيش في القمر  
مع حقل قمح وشجرة وعنزة ورجل أحبُّه.

قال الطفل:

أريد عصفوراً لأطعمه  
قطّة لألعب معها  
دفتر رسم وأقلاماً ملوّنة  
لأرسم القطّة قرب العصفور.

قال الرجل:

أريد أن أعمل وأتزوَّج وأسكر وأذهب إلى السينما.  
قالت الشجرة:

أريد أن أظلّ خضراء.

قال النهر:

أريد ألاّ أتوقّف عن الجريان.  
و فيما بعد... فيما بعد

جاء بشر صامتون  
كهنة بملابس سوداء وشوارب طويلة  
غسلوا جسد العدالة بأحجار القوانين  
و أخذوا الجميع إلى السجن!.

## سقراط

---

الذي لم نفعله اليوم  
نستطيع أن نحققه غداً  
و الذي أتعبنا البارحة  
نستطيع أن نضحك منه اليوم  
القي بنفسك بين ساعديّ  
كما تلقي امرأة يائسة نفسها من فوق ناطحة سحاب  
هذه لعبتنا الجميلة الضارية  
التي لم يسجلها التاريخ  
هذه حكمتنا الساذجة  
التي لم يتحدّث عنها سقراط  
أيتها الصديقة النائمة  
لا تفقي أمامي مكتوفة القلب  
فالشمس — كما يقولون —  
لا تشرق في اليوم مرّتين.

ماما

أما زلت تحتفظين ببارودة جدِّي القديمة  
بين بيت المؤونة وزريبة الحيوانات؟  
أما زلت تسرِّحين شعرك بأصابعك النحيلة  
و تخبزين لإخوتي فطائر الحكمة؟  
أنا هنا يا أمِّي

أحتسي فلسطين صباحاً مع فنجان القهوة  
و أطردها عن جسدها البعوض والأكاذيب  
أذهب معها إلى المدرسة  
و نقرأ معاً الصحف في المقهى  
و حينما أكون حزيناً  
تجلس بجانبني وتعديني بأشجار البرتقال  
ماما...

امسحي دموعك بمنديل الجبل  
و نظّفي بارودة جدِّي بخرقة الأيام

فبعد فترة سأعود إليك  
و في حقيبتني:  
زجاجة عطر  
و قليل من الرصاص.

## بالتساوي

---

المرأة التي تحبُّ النَّفَّاح

قطفت ثلاث نَفَّاحات

واحدة لها

واحدة لي

واحدة لحبيبيتي.

الرجل الذي يلعب بالأحجار

بنى ثلاثة بيوت

واحداً له

واحداً لصديقه

واحداً لي ولحبيبيتي.

الطفل الذي يعدُّ النجوم

عدَّ ثلاث نجمات

واحدة له

واحدة لي

واحدة لحبيبيتي.

الرجل الذي يريدُ كُلَّ شيءٍ  
اشترى ثلاثة خناجر  
زرع الأول في صدري  
و الثاني في صدري  
و الثالث في صدر حبييتي.

لا فائدة من الصراخ  
ما دام الصوت  
لا يخرج من زناينة الفم  
لا فائدة من البكاء  
ما دامت المناديل  
لا تكفي لتجفيف الدموع  
لا فائدة من الطريق  
ما دامت الأقدام  
مدججة بالسلاسل  
لا فائدة من الثياب  
ما دام الجسد  
مملوءاً بالسكاكين  
لا فائدة من الحب  
ما دامت القبلة  
جريمة قانونية

لا فائدة من الرغيف  
ما دام القلب  
سيظلُّ جائعاً  
لا فائدة منِّي  
ما دمت سأموت دون رغبة  
و ثَمَّة فائدة لكلِّ هؤلاء  
عندما نمضغ عنب الحرِّيَّة!.

## ما يحدث لي ولكم

---

ماذا يحدث لي  
إنني أتألم جداً  
و أقول: آآآآخ  
كُلَّمَا رَأَيْتَ  
البشر

والحيوانات

والأشجار!

ماذا يحدث لي  
إنني سعيد جداً  
و أقول: لا بأس أيُّها الصديق  
لم يزل لدينا  
بشر

وحيوانات

وأشجار

البشر يعملون ويحبُّون

الحيوانات تعمل وتحبُّ  
و الأشجار تزهر دائماً  
و لكن ما هو سيء  
أننا ما زلنا نقول: آآآ  
في الصباح  
و المساء  
و عندما نضع رؤوسنا فوق الوسائد!.

## جدار

---

الذي وضع الجدار بين عالمين  
بيديه الخشتين  
كان يقيس المسافة بين الحجر والحجر  
مفكراً بالطقس البارد في كانون  
و الذباب التي تنسل في العتمة والضباب.

الذي وضع الجدار  
كان يقضم الخبز ويدخن  
و يطرد الغبار والذباب عن عينيه الجميلتين.

لقد صنع عالماً صغيراً  
بأربعة حواجز وسقف وأرض مغطاة بالإسمنت  
لرجل أو امرأة أو طفل مثلي  
أربعة حواجز وسقف وأرض مغطاة بالإسمنت!.

## غداً في الصباح

---

غداً في الصباح  
سنتسلق الشجرة ونأكل التوت  
غداً في الصباح  
سأمسك يدك وأركض في البرية  
غداً في الصباح  
سأقبلك ألف قبلة  
و أقول لك ألف صباح الخير  
و لكن من يؤكد لي أنّ الصباح سيأتي؟

الليلة مديدة كالعصور  
المرأة في الشرفة  
و أنا في السجن.

كل ما قاله الراعي للجبل  
و النهر للأشجار  
و كل ما قاله الناس وما لم يقولوه  
في ساحات الرقص والمعارك  
قلته لك.

عن الفتاة التي تغني في النافذة  
و الحصى الذي يتكسر تحت عجلات القطار  
و المقبرة التي تنام سعيدة منذ قرون  
حدّثتك.

زهرة جسدي، كل صباح  
أقطفها وألقيها في الشارع  
ليطأها القادة والحكماء واللصوص...  
و زهرة جسدي، كل مساء

أجمع تويجاتها المفتتة لأجمعها لك  
و أقول كل ما حدث لي.

مرّة بجانبك جلست وبكيت  
كان قلبي حقل أرز محترق  
و أصابعي تتدلّى كألسنة الكلاب في الصيف  
أردت أن أعبرَ عني بالحركات:  
أن أكسرَ كأساً  
أن أفتح نافذةً  
أنا أنام...  
و ما استطعت

عمّ أتحدّث بعد ستة وعشرين عاماً  
أو بعد ست وعشرين طلاقة في الفراغ؟  
لقد تعبت من الكلام والديون والعمل  
لكني لم أتعب من الحرّيّة  
و ها أنذا أحلم بشيء واحد أو أكثر قليلاً:  
أن تصير الكلمة خبزاً وعبناً  
طائراً وسريراً

و أن ألفاً ذراعي اليسرى حول كتفك  
و اليمنى حول كتف العالم  
و أقول للقمر:  
صَوِّرْنَا!.

## انفجارات



## البيضاء

---

-1-

كوحشٍ كبيرٍ، كبير  
بأنياب خضراء  
و مخالب ممطرة  
سأخرج إلى العالم  
و حيث تلمع عيون الأطفال  
و أجنحة النوارس  
سأجلس مع القبلة قرب الينابيع  
و أختبئ مع الفلّاحات بين سنابل القمح  
و أقول: أحبك.

-2-

في هذه اللحظة تماماً

العالم قلب كبير يدقُّ بقوة  
العالم زهرة لوتس في شَعْر فتاة صغيرة  
العالم هرة بيضاء تموء بلطف وهي تشرب  
العالم أغنية مسافرة في قطار مجهول  
العالم يمامة...  
في منقارها بطاقة بريديّة:  
إنني أحبك.

-3-

سألعب مع الأطفال بالحصى والأوراق الملونة  
سأقيم البيوت من رمال الصحارى والشواطئ المبلّلة  
سأقول للصخرة: لنبتسم  
للأغصان: لنضحك  
للتراب: لنرقص  
للوَسادة: لننتفّس  
للجبال: لنغنّ  
للموتى: لنبدأ

للأحياء: لنستمرّ  
للأرقام: لنكبر  
للحروف: لننتسّع  
للفصول: لنتبدّل  
للغيوم: لنمطر  
و لك أيتها المرأة  
سأقول: أحبك  
أحبك كلما قطفت وردة  
و كلما قطفتني السكاكين.

#### -4-

السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس،  
الجمعة...

أنا أحبك

الشتاء، الربيع، الصيف، الخريف...

أنا أحبك

السابعة صباحاً، السابعة مساءً،

الثانية بعد منتصف الليل...

أنا أحبك  
أحبك هنا وأحبك هناك  
في الضباب والأودية والمنازل والحقول  
على الأرصفة وحبال المشانق  
بين المصانع والجرارات وتحت قنابل الإمبريالية...  
أنا أحبك.

-5-

سأبني شمساً بثلاث نوافذ وأربعة أبواب  
سأزوّج البحر من فتاة النجوم  
سأطلق غابة على الصحراء الكبرى  
سأقلّد الرياح وساماً من البرتقال  
سأطفئ الجحيم بقطرة من الماء  
و سأقول لك: أنا أحبك.

-6-

لا تحجزوا لي مقعداً في طائرة مخطوفة

و لا زنزانة في بلد بعيد  
و لا موتاً في مجاعة عالميَّة  
لا تغلقوا النوافذ والأبواب والجدران والدروب الطويلة  
لا توصدوا البحر والحدود والسماء العالية  
لا تتركوا أوديب يقتل أباه  
و لا هاملت يقتل نفسه  
لا تصنعوا التواييت  
و لا تدمِّروا السفر  
لا تأخذوني إلى عام 2000  
أو عام 1605  
أو عام 37 ق.م  
أريد أن أظلَّ هنا  
في تموز 24 تموز 1979  
بفم مليء باليانسون  
و قلب مزروع بالقطن  
و أن يظلَّ العالم 24 تموز دائم  
فهذا يعني بأنني أحبك.

## غرفة صغيرة وضيقة

### ولا شيء غير ذلك

غرفة صغيرة صالحة للحياة  
غرفة صغيرة وضيقة صالحة للموت  
غرفة صغيرة ورطبة لا تصلح لشيء  
غرفة صغيرة فيها:

امرأة تفشّر البطاطا واليأس  
عامل باطون لا ينام أبداً  
بنت تبكي كثيراً بدون سبب  
و أنا ولد مشاكس وغير لئيم  
لديّ كتب وأصدقاء  
و لا شيء غير ذلك.

و منذ أن ولدت بلا وطن  
و منذ أن أصبح الوطن قبراً

و منذ أن أصبح القبر كتاباً  
و منذ أن أصبح الكتاب معتقلاً  
و منذ أن أصبح المعتقل حلماً  
و منذ أن أصبح الحلم وطناً  
بحثت عن غرفة صغيرة وضيقة  
أستطيع فيها التنفّس بحريّة.

إنني أتنفّس بحريّة  
في غرفة صغيرة وضيقة  
أخلع ثيابي وأنام  
أخلع فمي وأتكلم  
أخلع قدمي وأقوم بنزهة تحت غبار السرير  
مفتشاً عن بقايا أطعمة وقطط تحبُّ المداعبة.

على الرف في الغرفة كتب وأصدقاء  
و هناك أيضاً حزمة جافّة من البرسيم  
صورة لغيفارا ولوحة سوداء لمنذر مصري...  
عندما أجوع ألتهم الكتب وأقول للأصدقاء:

- أيُّها الأصدقاء، تعالوا لنتحاور...  
و أصدقائي كثيرون  
الذين يحبُّونني لا يتركون لي فرصة للموت  
و الذين يكرهونني لا يتركون لي فرصة للحياة  
و غداً على الأرجح  
سألتهم الأصدقاء  
كما التهمت الكتب وقرارات الأمم المتَّحدة  
و غداً على الأرجح  
سأكفُّ عن اللحم  
مثلما كفت الأنسة (س) يدها عن شؤون قلبي  
و غداً على الأرجح  
سأترك للغرفة تأسيس حياتي  
بجدرانها الخمسة المدمَّاة  
و نافذتها الوحيدة المشرعة.

في غرفة صغيرة وضيِّقة صالحة للبكاء  
في غرفة صغيرة وضيِّقة صالحة للحب  
في غرفة صغيرة وضيِّقة صالحة للمؤتمرات

لم أستطع أن أتأمر على أحد  
لم أستطع أن أفعل شيئاً.  
في غرفة صغيرة وضيقه صالحة للكتابة  
لم أستطع إلا كتابة وصيتي الأخيرة  
الغرفة الصغيرة الضيقة  
الممددة كجثة فوق سرير الأرض  
قابلة مثلي للتشريح  
و مثلي قابلة للإبادة.

في الغرفة الصغيرة الضيقة  
أقرأ الصحف والمذابح  
في الغرفة الصغيرة الضيقة  
أعوي كعاصفة وأغرّد كسنبله  
أنا في الغرفة الصغيرة الضيقة:  
نهر مكسور  
و أحياناً أمّة مضطّهة.

- أين ذهبت المرأة؟

\* لتموت في الغرفة الصغيرة الضيقة.

- أين قرَّرتَ الموت؟

\* في الغرفة الصغيرة الضيقة.

- كم عمرك؟

\* غرفة صغيرة ضيقة.

- ما هي الأرض؟

\* غرفة صغيرة ضيقة.

اليوم صباحاً وكإنسان مقتول

يعرف تاريخ ولادته ولا يملك شهادة الوفاة

أغلقت عيني النافذة

و تركت الغرفة الصغيرة الضيقة

تفيض حتَّى حافَّتْها بالأمراض

اليوم صباحاً

قلت سأفْتِش عن فاكهة لم تلمسها يد

و صديق لم تذهب به رصاصة إلى السماء

ذهبت إلى الأشجار وما وجدت أحداً

إلى الينابيع وما وجدت أحداً

إلى الصخور وما وجدت أحداً  
إلى الحيوانات وما وجدت أحداً  
ذهبت إلى المطارات  
و الشوارع  
و مؤسّسات الأيتام  
فحسبوني شحاذاً ووضعوا في كَفِّي النقود...  
اليوم مساءً وكحصانٍ مقطوع الرأس  
عدت إلى الغرفة  
الغرفة الصغيرة الضيّقة  
و بلطة ضخمة من الصراخ تنمو تحت أظفري.

## حيث في كلّ خطوة

### قمر مكسور

---

لقد بدأنا نعرف ما معنى الزمن  
عندما نعود إلى البيت وحيدين  
متشابكي القلوب والأصابع  
بدأنا نعرف ما تعني الصخور النائمة في البحر  
الشمس النائمة في السماء  
و الأغاني النائمة في المقبرة  
بدأنا نعرف لماذا ننام ونأكل  
و نسير في الشوارع بلا هدف  
حيث في كلّ خطوة قمر مكسور  
حيث في كلّ كلمة قبلة مذبوحة  
حيث في كلّ (صباح الخير) طلقة مخبأة  
لم نستطع أن نمزّق بها دماغ صيِّاد  
لقد بدأنا نعرف ونفكّر ونتألّم بشكل حسن

محاولين أن نقول للفتاة الجميلة:  
(هذه المظلة لا تصلح للوقاية من النار  
هذا الثوب لا يصلح للقيام بنزهة إلى الغابة  
هذه الأصابع لا تصلح لمداعبة قطة  
و هاتان العينان المليئتان بالسنابل  
لا تصلحان لرؤية الجوع  
و هو يتقلب بعنف فوق فراش شانك)  
ههنا كل شيء مريض:  
البشر والحيوانات والأزهار  
القوانين والدول  
الآلهة الطيبة والشياطين الشريرة  
الذين رحلوا عنا  
و الذين ما زالوا يتشبثون بنا  
مثلما تشبث السندباد بجسم حوت بليد  
معتقداً أنه صخرة  
و ها نحن نغوص  
مرضى ومعدّبين ومُتعبين وجوعى  
في هذه الهاوية الرحبة

التي اسمها (حياتنا)  
نعرف ونفكر ونتألم بشكل حسن  
نعرف لون الأفق في السادسة صباحاً  
لون الطفل وهو يغادر صباحه إلى الأبد  
و لون الصباح الذي لا يزورنا  
إلاّ عندما نشعر بحاجة إلى النوم.

أنت،  
اخلع عنك الحياة وأذهب بصراحة إلى الموت  
الموت يا عزيزي سمكة لن تقبض عليها  
إلاّ إذا كانت يداك جافّتين  
و مشاعرك حافية.

أنت،  
اخلعي حياتك وأوقدي شمعة  
و لا تفكري كثيراً بشهداء الأقاليم  
لا تفكري بالبحارة التعساء  
و لا بالقرصان الجميل

و لا تفكّرِي بإفريقيّا الخضرَاء  
و لا بأسيا الرماديّة  
لا تفكّرِي بالبعج و لا بالتماسيح  
لا بالنهر و لا بالزورق  
فقط اتركي نفسك بهدوء قرب شمعة  
بذاكرة بيضاء و قلب صافٍ  
و لنحاول معاً أن نعرف ما معنى الزمن  
عندما، كجنديّ مسكين  
يمدُّ ذراعه السليمة  
طالباً منّا صدقة  
جنديّ مسكين أو امرأة نحيلة  
على السرير العاري كانا يموتان  
(بهدوء... بهدوء... بهدوء)  
تفتح المرأة عينيها و تنظر إلى الجندي بدهشة  
يفتح الجندي ساعديه و يضمُّ المرأة بخوف  
بدهشة و خوف كانا يموتان  
و العالم حولهما يتداعى و يختفي  
و الناس

الناس الوادعون  
الطيبون  
الأبرياء حتَّى رؤوس أصابعهم  
كانوا ينظرون إليهما بلامبالاة  
و حينما انتفض الجندي وطلب سيجارة  
و حينما انتفضت المرأة وأعطته السيجارة  
فتح الهواء الباب وأطفأ عيدان الثقاب...  
أنا رجل مسكين  
و أنتِ امرأة نحيلة  
أنا بعيد  
و أنتِ مثلي مثلي مثلي بعيدة  
يداك الملوّثتان بالحبّ  
لا تغسليهما  
الوحش المقتول في قلبك  
اتركيه هناك يتفصّد موتاً  
ذثّريه بالأغاني وضعي يديه فوق صدره  
و غداً، أو اليوم،  
عندما تصبح الحرّية كالهواء مباحة

عندما يتداعى الأباطرة كالجدران القديمة  
عندما يمتلك الجميع قليلاً من الرصاص  
و كثيراً من القلب  
و غداً، أو اليوم،  
عندما نعرف ونفكر ونتألم بشكل حسن  
و غداً، أو اليوم،  
سنحاول أن نسير في الشارع  
نتكلم بغبطة وبلا خجل  
و وحيدين نعود إلى البيت  
متشابكي القلوب والأصابع  
و للشجر أن يكون أشد اخضراراً  
و للبحر أن يكون أشد اتساعاً  
و مثلما يحقُّ للسكّين أن يكون حاداً ومؤلماً  
فللخطيئة الجميلة حقّها في أن تتكاثر كالأرانب  
حيث في كلّ خطوة قمر مكسور  
حيث  
في  
كلّ

كلمة  
قبلة  
مذبوحة.

## بين يدك أيها العالم

---

فلتأتِ إليَّ الآن

فلتأتِ إليَّ الآن

الباب مفتوح والنافذة مفتوحة

و كل ما هو لي

و كل ما هو ليس لي

و كل ما رأيته وعشته وانتظرته

ينتظرك الآن:

المائدة والسريير والضوء ورائحة جسدي

العشب والأسماك والأزهار وقلبي

كل شيء ينتظرك.

كل شيء ينتظرك

فلتأتِ إليَّ الآن

إنَّ الزمن لا يتغيَّر أبداً

إنَّ الزمن لم يتغيَّر قط

فالصيف كالخريف  
و السبت يشبه الأحد والأربعاء  
أمّا الذي تغيّر دونما انقطاع  
فهو نحن  
نحن الذين نذهب إلى الحروب والمصانع والمراعي  
و نبتكر كل ما له علاقة بنا:  
الرصاص والخبز  
السجون والحريّة  
السجائر وأقلام الرصاص  
السكاكين والورق والأغاني  
الألعاب والقيود والمبيدات الحشريّة  
إنّنا نفعل كلّ ما نستطيع  
بين يديك أيّها العالم.

بين يديك أيّها العالم  
دمي يسيل الآن  
يسيل وأراه  
يسيل ويتبعثر ويتشابك ويفترق

ينحني وينكسر ويميل يساراً ويميناً  
إنَّه دمي أيُّها العالم  
دمي الصامت الثرثار  
الذي يرسم بنفسه صورتي الشخصية  
و وجه من أحبُّ وأكره.

بين يديك أيُّها العالم  
متدفِّقٍ ومنطوٍ  
بعيدٍ وقريب  
أتنقَّل من شارع إلى جدار  
و من صديق إلى قاتل  
و من أغنية إلى غبار  
أتنقَّل وأتنقَّل  
حاملاً خضاري وقمحي وكراريسي  
بنادقي وزهوري وفراغي  
دونما راحة ودونما تعب  
ذلك أنني أعيش لأتساءل  
أو أتساءل لأعيش:

ما الذي فعلت بنفسك يا هاملت؟  
و ما الذي تنتظرينه يا بنلوب؟  
و ماذا أعطت لك الحياة يا سقراط؟  
و لم تثير رعبنا يا هيتشكوك؟  
و أنت يا أبي...

أيها السكّير، المريض، المقامر  
أيها الحالم، الطيّب، المسكين  
أما زلت تتناول عشاءك المعتاد  
بيضتين مسلوقتين

قليلاً من الزبدة

نصف رغيف

و هموماً كاملة

و أنت يا أمّي...

أيّتها الشجرة التي لم تثمر غيري  
أما زلت تنامين باكراً

عاريةً إلا من أوراقك الخضراء

الخضراء دائماً بين يدي العالم؟.

بين يديك أيُّها العالم:  
النافذة مشرعة وأنا وحيد  
(من يأتي إلى من)  
الأضواء ساطعة وأنا معتم  
(من يضيئني من)  
السفر... السفر... السفر...  
هو ما أريد  
الحرية... الحرية... الحرية  
هي ما أطلب  
أن أضمَّ المرأة  
و أسحب القمر من أنفه إلى غرفتي  
أن أرقص وأرقص وأرقص  
حتَّى تتعب الموسيقى  
أن أحملك أيُّها العالم  
أهددك كطفل  
و أزعل منك إذا أخطأت في الحساب  
أن آكل وأعمل وأشرب وأتنفَّس  
كما يفعل المبدع الصغير الكبير

الذي يزرع القمح بين الصخرة والصخرة  
و يترك للطفل حرية الحركة والبكاء

المبدع الصغير الكبير

الذي يشبك يديه خلف ظهره

في العطلات الأسبوعية

سعيداً ببطاله النظيف

و ذقته الحليقة

إبنك أيها العالم

إبنك الطويل، القصير، البدين، النحيل، الذكر، الأنثى،

العاجز، العطشان، الخائف، المضيء، المتردد،

المباشر، الصادق، البسيط، المغامر، المجنون...

إبنك الذي من سهول وماعز ومطر كثيف

الضائع بين سبارتاكوس ونيرون

بين يسوع ويهوذا

الذي جرّب كل شيء

و لم يتوصّل إلى شيء

لأنّه...

لأنّه ما زال بين يديك أيها العالم.

... وأنا أنتظرك الآن  
حزينا كرسالة لم تصل  
و وحيدا كفزاعة عصافير  
أنتظرك وأعرف أنك معي  
رجلاً وامرأة وطفلاً  
طيراً وموسيقى وغابة وطريقاً طويلاً...  
و سواء كنت في العمل أو البيت أو الشارع  
أراك وأعرفك  
أفتقدك وأسأل عنك  
و أينما ذهبت سأتبعك  
و كلما التفتيتك سأهرب منك  
لكنني دائماً... دائماً  
أفتح لك الباب وقلبي  
و أقول تعال  
قبّلي قبّلي قبّلي  
قبّلي قبّلي قبّلي  
هذه أصابعي وهاتان عيناي  
هذه أظفري وأنيابي

و هذا هو جسدي  
دافئاً وبردان ومحموماً  
و هذه هي نفسي  
فارغة إلا من الصخور والرمال  
و ممتلئة بكل شيء  
و كل شيء لا يستطيع احتواءها  
حتى أنت...  
حتى أنت أيها العالم.

بين يديك أيها العالم  
أعدُّ حروبي وهزائمي وانتصاراتي  
و أسجِّلُ أسماء الجالدين والضحايا  
أسماء العشاق والفاشلين والمغامرين والمضطهدين  
و لا أنسى إسمي  
إسمي الوحيد، المتكرّر، المتفرّد  
الذي يعرفه الجميع ولا يعرفه أحد  
محمود أو الياس أو مريم  
رياض أو سوزان أو عادل...

ما الذي يهمني من ذلك؟  
فالجميع يحبون ويكرهون ويزورون المقابر  
(على الأقل مرة واحدة بعد عمر مديد)  
و الجميع عندما ينامون  
ينامون بطريقة واحدة ومختلفة  
و لذلك لا نختلف في شيء  
سوى أن بعضنا ينام بعين مفتوحة  
و بعضنا لا ينام أبداً  
و بعضنا ينام دائماً:  
في قبر، أو حانة، أو وظيفة  
في صحيفة، أو كتاب، أو متحف  
و الجميع الجميع  
يملكون الأيدي والرقاب والصدور والذكريات  
غير أن بعضهم لا يملكون القلب  
و بعضهم قلوبهم سوداء  
و بعضهم رموا قلوبهم في البالوعات واستراحوا  
استراحوا بين يديك أيها العالم.

بين يديك أيُّها العالم  
أدور وأدور وأدور  
كدواليب الحظ  
ثمَّ أتوقَّف على رقم  
لا علاقة لي به  
و سواء كنت ورقة يانصيب خاسرة أو رابحة  
و سواء كنت رقماً أحاديّاً أو مزدوجاً  
فالحصان الخاسر لن ينال الجائزة  
و الحصان الرابع لن يجني سوى القليل أو الكثير من  
التبن والذرة  
أمَّا الرابع الوحيد  
فهو الذي يملك الحصان ويقوده ويوجِّهه  
الرابع الوحيد  
صاحب المهماز والسوط والقبضتين الفولاذيتين  
و أنا ملكك أيُّها العالم  
أنا جوادك الخاسر  
و نحن ملكك أيُّها العالم  
نحن جياذك الخاسرة

ننطق وننطق وننطق  
و أخيراً إلى الاسطبلات نعود.

بين يديك أيُّها العالم  
المدراس  
الأصدقاء  
الثقافة  
التاريخ  
و الدولة هي الدولة  
بين يديك أيُّها العالم  
نحن لسنا سعداء  
بين يديك أيُّها العالم  
نحن لسنا تعساء  
نحن لا شيء البتَّة  
هذا ما يقوله النسيم  
و هذا ما تقوله أمريكا  
بين يديك أيُّها العالم  
نرِدُّ الكلمات

الحرية... الحرية... الحرية  
الخبز... الخبز... الخبز  
الحب... الحب... الحب  
إننا نريد الكلمات  
منذ توت عنج آمون  
و حتى آخر جثة في بيروت الشرقية  
الخبز أيتها الأمم المتحدة والمنفردة  
الحب أيتها الله  
الحرية أيتها الأصفاد والأسلاك الشائكة  
و الحياة... الحياة  
بين يديك أيتها العالم

شباط - 1980

## أَيُّهَا الْأَحْبَارُ

### اسْتَمِعِي إِلَى الْمَوْسِيقَى

البداية غداً  
و غداً ليس ربطة عنق أو حذاء فاخراً  
البداية غداً  
و غداً ليس كلمات متقاطعة أو مؤتمر هافانا  
البداية غداً  
و غداً تحت المقصلة أو بين السلاسل  
سأطالب بالحياة الجديدة  
فالحياة التي يتحدثون عنها في الكتب  
و الحياة التي نراها في الاعلانات التلفزيونية  
و الحياة التي تنام على الأرصفة  
ليست هي الحياة التي نريد.

غداً

لن أتحدّث عن آلام المسيح

كما يتوقَّع نجَّارو الصلبان  
و لن ألعب مع الأطفال  
كيلا توبَّخني منظمة اليونيسيف  
فغداً...

ببساطة ويأس شديدين  
سأمدُّ قلبي وأطالب فقط:  
بالعمل والخبز والكتب والأمن والسفر و... إلى آخره.

لست بائع خردوات  
و لا مهزَّب دخان مارلبورو  
و لا أملك مسدساً لأنتحر  
و لا قنبلة لأخطف طائرة  
لم أبع قلبي بالمزاد العلني  
و لم اشترِ الويسكي من السوق الحرَّة  
لم أقتل رجلاً  
و لم أصفع امرأة بوردة  
فلماذا... لماذا  
أيتها الأحجار التي لا تحبُّ الموسيقى

كُلَّمَا شَاهَدَنِي حَقَّارُ الْقُبُورِ  
يَفْرِكُونَ أَيْدِيهِمْ بَغْبَطَةً  
وَ يَدْعُونَنِي لِزِيَارَتِهِمْ؟

مَنْذُ السَّكَاكِينِ الْحَجْرِيَّةِ  
وَ حَتَّى أَطْفَالِ الْأَنْبِيَاءِ  
مَا زِلْتُ أُبْحَثُ عَنِ الْحَرِيَّةِ...  
أَنَامُ وَ أَعْنِي  
أَعْمَلُ وَ أَعَصِرُ الْمَنَادِيلَ  
أَنْتَظِرُ وَ أَقْتَتِرُ الْبِصْلَ  
وَ فِي الصَّبَاحِ أَوْ فِي الْمَسَاءِ  
فِي السَّابِعَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ وَ الْعِشْرِينَ  
أَدْخُلُ الْحِجْرَةَ وَ أَجْلِسُ  
أَنَا: قَلْبُ أَبِيضٍ وَ يَدَانِ زَرْقَاوَانِ  
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْغَدِ  
مَا زِلْنَا نَنَامُ فِي الْمَقَابِرِ  
الْمَقَابِرِ الَّتِي  
بَيْنَ أَشْجَارِ اللَّيْمُونِ وَ بِنَادِقِ الْقَنَاصَةِ

نحن أبناء الغد  
ما زلنا نقف تحت السماء الصغيرة  
و قرب هذا العالم المسكين  
(البارحة واليوم وغداً)  
و نمُدُّ قلوبنا إلى المارّة:  
- أغنية أيُّها الأصدقاء  
قبلة أيُّها الإخوة  
قبلة وأغنية من أجل الله  
قبلة لليوم الأوّل من السنة  
و أغنية لليوم الأخير.

غداً...

لا تهرب مِنِّي  
إلى الشوارع الكئيبة  
فتحت لك الباب  
تعال. أدخل. قَبِّلني.  
حَدِّثني. نم معي.  
فعند المنعطف ينتظرونك

ببندقيّة ملقّمة  
النهاية غداً:  
البارحة تعارفنا  
اليوم قبّلتك  
و غداً سنفترق.  
البداية غداً:  
البارحة حدثت المذبحة  
اليوم دفنوا الموتى  
و غداً ستحدث مذبحة جديدة.

غداً، صديق قديم:  
(إنّهم يموتون بالآلاف في سجون سانتياغو)  
غداً، فلكي عجوز:  
(برج الحوت سيذهب إلى الجحيم)  
غداً، فلاّحة طويلة:  
(الأمطار قليلة هذا العالم)  
غداً...  
رسالة إلى امرأة مجهولة:

(أريد أن أحييتك طوال شهر أيلول).

حارٌ كجمرة

بسيط كالماء

واضح كطلقة مسدّس

و أريد أن أحييا

ألا يكفي هذا

أيتها الأحجار التي لا تحبُّ الموسيقى؟.

13 - 8 - 1979

للأيام الجميلة القادمة أسنُّ أسناني  
للمرأة الجميلة المقبلة أعدُّ السرير  
و على الحائط الأسود  
فوق الطريق العاري  
تحت السماء الزرقاء  
أبعثر رماد قلبي  
منتظراً البسكويت اللذيذ  
و الدراجة الصغيرة  
و علامة (ممتاز) في الحبّ!.

17 - 8 - 1979

لا أحد يعرفني سوى العشب

لا أحد يلعب معي سوى القطّة  
و حينما أنام وحيداً  
بقدمين متباعدين وذاكرة عاتية  
بطائرة ورقية وبالون كبير  
تأتي إليّ (أليس)  
بشريطة بيضاء وسنّ مكسور وجوارب ممزّقة  
يأتي إليّ الأرنب المسكين  
و النملة الذكيّة  
و الحمار المتعب  
و على سريري ينامون!.

**2 - 9 - 1979**

إذا أردت أن ترى  
ثلاثة رجال يقرعون باب التفاحة  
ثلاثة رجال ليسوا من ذهب  
الأول: مستودع ذكريات  
الثاني: شمس في زنزانة

الثالث: شجرة آلام  
إذا أردت أن ترى...  
فتعال إليّ في الثالثة صباحاً  
قبل أن ينكسر ضوء القمر  
قبل أن يحين موعد الضجّة  
تعال مع العربات التي تذهب بالعمّال إلى المصانع  
مع العاشقة التي تدبّر ثلاثة جنود  
مع الدجاجة التي تبحث عن حبوب العدس  
مع الشاب الذي يصنع خبز الموتى  
تعال، لأحدّثك عنّي  
أنا ثلاث صرخات  
الأولى: للمغامرة  
الثانية: للحب  
الثالثة: للذهاب إلى العمل في الثامنة كالمعتاد.

7 - 9 - 1979

الذي يريد الضحك فليأت

إنني أخبئ نكتة  
الذي يريد البكاء فليأت  
فلديّ حصّالة دموع  
و الذي يريد الحب  
و الذي يريد الحب  
فليأت... فليأت  
فلديّ سرير شاسع كصحراء  
و وسادة صغيرة كرأس خروف!.

17 - 9 - 1979

تعرفّفت على امرأة منذ أسبوعين  
بطريقة عاديّة  
أعطتني نراعتها بسهولة  
و قالت: لديّ نصف كيلو عنب  
قلت: ونستطيع أن نشرب القهوة.  
تعرفّفت على امرأة  
لم ترّ مقبرة قط

تضحك وتبكي وتحتج بسهولة  
و لا تفهم...  
لماذا يتحدث الناس عن الحكومة  
في الوقت الحاضر!.

**29 - 10 - 1979**

بالصوت والإشارة والقبلة  
برفيف الأهداب وهزة الرأس  
بالأصابع والعيون  
بأفراحنا الصغيرة ودمارنا الكبير  
بأنيابنا المكسورة وأظافرنا المقلمة  
بالأوراق البيضاء وأقلام الحبر الناشف  
بالأغاني الحزينة والموسيقى الخرساء  
تعالوا لنتفاهم  
لنتفاهم... لنتفاهم  
كما تفعل النملة مع النملة  
و الليل مع النهار

و إذا حصل أيّ سوء  
فلنضرب الطاولة بقبضاتنا المتعبة  
لنمتحن قدرتنا على الصراخ  
لنستشهد بالأقوال المأثورة كبشر عاديين  
و لكن قبل كل شيء  
من الأفضل أن نتجرّد من المعاطف  
و الأحقاد القديمة  
و نضع السكاكين والمسدّسات قرب الباب  
و ندخل القاعة بناويا طيّبة!.

**3 - 11 - 1973**

كل شيء له سعر  
الكتاب والبيت والقهوة  
الحذاء والنور وقصّاصة الأظافر  
الدموع والدروب و(تصبحون على خير)  
كل شيء له ثمن  
بالدولار والمارك والجنيه الاسترليني...

فكم هي مضحكة

- أقول لنفسي-

حياة الإنسان في العصور القديمة  
عندما كان يبادل الذرة بثمار البلوط  
و البقرة بسر وال و قميص صوفي  
و القبلة بأزهار البرتقال  
و الأغاني الطويلة!.

**15 - 11 - 1979**

أنا حبة عنب حلوة

تعال وامضغني بأسنانك الرقيقة

أنا شجرة حب قريبة

أهرب إلى ظلّي من شمس أيلول

أنا زهرة بريّة

تحت جنزير دبّابة

ألا تريد أن تقطفني قبل أن أموت؟.



# وعلّ في الغابة



إلى هيفاء أحمد



## قصائد

"أُنزِلت في وحـدتك  
بلدٌ مزدحمٌ

رفائيل إلبرتي



## غرفة الشاعر

---

يفتح بابَ الكلماتِ ويدخلُ بخطىٍ خائفةٍ  
في أنحاءِ الغرفةِ  
بعضَ قصائدِ ذابلةِ  
كلماتِ تتمدد فوق الكرسيِّ  
و أخرى تتعلّق بالمشجب  
سنبله تهرب من بين أصابعه  
و طيور تقفح الشفتين  
يرى عشباً ينبت في المكتبةِ المهملةِ  
و نبعاً ينبثق من الحائط  
بعد قليل سوف يداهمه الليل بأقمار و كوابيس  
تداهمه أشجار الغابةِ  
و رمال الشاطئِ  
و حصى الأنهار  
و آبار فارغةِ  
يملؤها بحروف سوداء

ماذا يأخذ من جثث الأيام  
و ماذا يترك  
غير قصائد ذابلة  
و غبار الكلمات؟  
و بعد قليل  
سوف يداهمه الشرطي  
ليسأله عن جمل غامضة  
و يحذره من استعمال "القُبلة" و "القنبلة"  
و يمضي..  
هو ذا الشاعر  
يفتح نافذة القلب  
يغلق عينيه  
و يحلم بقصيدة حب

## غرفة المحارب

---

يتوسد خندقه الرمليّ وحيداً  
و يدها تحيطان برشاشٍ مملوء بالموت  
سيأتي الزوّار مساءً  
زائرة تحمل للأرض قنابل ضوئية  
أخرى ستمشط بالنار سهولاً تمتدُّ  
سيأتي الأعداء مساءً  
كقطيع ذئابٍ كاسرةٍ  
يلتهمون بيوت الطين  
و أشجار التفاح  
و كرّاسات الأطفال  
و رأسَ الجنديّ  
الجندي يرتب غرفته الرملية  
الماء هنا  
و الطلقات هناك  
و ها هي صورة نرجسة تبتسم لجندي

يحملُ رشاشاً وخضاراً  
الزوار يجيئون  
فأهلاً  
يطلق طلقاته الأولى  
سيظل يقاتل حتى آخر حبة رمل من هذا الخندق

## غرفة السائح

---

العالم غرفة هذا السائح  
إذ يمضي في ردهاتِ العالمِ  
يجمع أحجاراً من مدنٍ بائدة  
و نقوداً لشعوبٍ أهلكها الزلزالُ  
و يجمع صوراً لجوامع  
و متاحف  
و تماثيل مرعبة  
يمشي في أرصفة الدنيا  
فيرى سفاحاً فيصوّره  
و بائعٍ ليمونٍ فيصوّره  
و راقصة يسألها:  
ماذا تعني "Merci" بالعربية  
و لماذا لا يزرع هذا الشعب "الأناناس"؟  
السائح يفهمُ أو لا يفهمُ  
يعلمُ أو لا يعلمُ

سيظل يسير وينظر ويصوّر  
فالعالم غرفة هذا السائح  
و النافذة كاميرا

## غرفة مهدي محمد علي

---

هي ذي غرفته تنهض من بين الأنقاض  
مسيجةً بدمٍ وعبيرٍ  
ندخلها في الليل كقديسين جميلين  
و ندخلها الشيوخ عيون، و عباد الشمس،  
و أخبار المدن المشتعلة  
هي ذي غرفته  
أبعد من وطنٍ  
أقرب من رمش العين إلى العين  
و يا مهدي  
أرنا كفيك  
ألم تنم الأعشاب عليك  
ألم تورق أغصان القلب  
و ماذا يحدث لنبات البصرة  
و تراب البصرة

....

....

....

هي ذي غرفته

أجمل من قبر

و أعلى من شجرة نخل

و صاحبها

طير في قفص

يفرك عينيه، يبعثر أوراقاً ورسائل،

يكتشف امرأة في فجان القهوة

ذات مساء

سوف تدق الباب نباتات الزينة

تأتي الأزهار، وأشجار الصفصاف،

و أعشاب الغابة، وثمار اليقطين

و تحتل الغرفة

## الولد النائم

---

قبل أن يذهبَ للحرب مضى نحو السرير  
أغلق عينيه ونام..  
رأى فيما يرى الأولاد  
سهلاً فسيحاً تركض الغزلان فيه  
سرباً من عصافير  
و أشجاراً من الدراق  
أزهاراً لها هيئة أقمارٍ  
رأى نهاراً واسعاً جداً  
و من أقصى النهار جاء رجل يسعى  
ألقي على الطفل قميصاً من دمٍ  
فاختفى السهل وماتت الغزلان  
و الأشجار  
اختفى النهار..  
قال الولد الجميل: لا بأس  
أغمض عينيه بعينه

و نام  
رأى عشرين ملاكاً يهبطون قربه  
سألهم: هل تأكلون البرتقال  
هل نستطيع أن نلعب لعبة الهرة والفأر  
أختبئ الآن فوق سريري  
جديني أيتها الهرة/الملاك..

....

و من أقصى السماء  
جاءت القنبلة فوق سرير الولد الجميل  
طار الملاك  
و ماعت الهرة حينما رأت إصبع طفل في التراب  
قال الولد الجميل:  
لا بأس، لا بأس  
عاد إلى السرير متعباً  
أغمض عينيه بعينيه  
و نام..

رأى فيما يرى الحالم  
أسماكاً على الجدران

ذنباً يسبح في البركة  
تمساحاً يعود للمهى  
و امرأة تنتظر الربّ أمام قصر العدل  
صاح الولد الجميل:  
لا أريد أن أرى شيئاً  
أريد أُمي وزجاجة الحليب والقماط  
قال الولد الجميل شيئاً  
ليس حسناً جداً  
و ليس سيئاً جداً:  
"عاش البط  
عاش النهر  
عاشت الهرة  
عاشت الأشجار  
عاشت أختي وأخي  
و لتسقط الدبابة.." .  
.....  
أغلق عينيه بعينيه  
و نام أبداً.



## رغبات

"عندما كان العصافير  
يصفر في العشب  
والرياح تنهش جدراننا العظيمة  
كنا كأنما في عيد  
وكان كل شيء يتحقق "  
غيلفيك



## كنجمة في السماء كوعل في الغابة

---

أمامي الكثير لأعطيه  
و خلفي الكثير للمقابر  
أمامي النهر ورائحة الصباح والأغاني  
البشر الرائعون والسفر والعدالة  
و خلفي الكثير الكثير  
من الكهنة والتماثيل والمذابح  
و ها أنذا أمشي وأمشي  
بين هزائمي الصغيرة وانتصاراتي الكبرى  
و ها أنذا أمشي وأمشي  
متألقاً كنجمة في السماء  
و حُرّاً كوعل في الغابة  
لي وطن أحبه وأصدقاء طيبون  
بنطال وحذاء وكتب ورغبات  
و وقت قليل للرقص والجنون والقنبلة

لقد بدأت أتعلم كيف أبتسم وأقول وداعاً  
و بدأت أتعلم كيف أتألم  
بعيداً عن الضجيج والعواصف  
أما الكلمة الجميلة، الجميلة  
التي تشبه طائراً أبيض  
و التي تشبه شجرة في صحراء  
فلقد اكتشفتها متأخراً قليلاً  
مثلما تكتشف السفينة اتجاهها  
و مثلما يكتشف الطفل أصابعه وعينه  
لذلك أمشي وأمشي وأمشي  
فأمامي الكثير لأعطيه  
و خلفي الكثير للمقابر  
و لذلك أمشي وأمشي وأمشي  
و لا أنتظر أن ينتهي طريقي  
هذه صخرة وهاتان عينان  
هذا قمر وتلك أوزة  
و ثمة أشياء كثيرة لم أكن أراها:  
أيدي الأمهات

أكياس الطحين  
و طلاب المدارس  
إنني أفتح عيني كنبع صغير  
و أتحرك برشاقة الرعاة  
فلقد بدأت أعلم  
- و ربما متأخراً قليلاً -  
أن آلاف الحروب وملايين الجرائم  
لم تستطع منع القطة من المواء عندما تجوع  
و الوردة من أن تتفتح  
و المطر من أن ينهمر بغزارة...  
لذلك أمشي وأمشي وأمشي  
متألقاً كنجمة في السماء  
و حُرّاً كوعل في الغابة  
و عندما أصل إلى البيت  
وحيداً أو عاشقاً  
مرحاً أو حزيناً  
أعترف لنفسي بأخطائي القليلة  
و أنتظر:

عشب الطريق  
هدير القطارات  
و عمال المصانع  
و لون السماء في الصباح الباكر  
الباكر  
الباكر

## رغبات

---

أريد أن أذهب إلى القرية  
لأقطف القطن وأشمّ الهواء  
أريد أن أعود إلى المدينة  
في شاحنة مليئة بالفلاحين والخراف

أريد أن أغتسل في النهر  
تحت ضوء القمر  
أريد أن أرى قمراً  
في شارع أو كتاب أو متحف.

أريد أن أبني غرفة  
تتسع لألف صديق  
أريد أن أكون صديقاً  
للدوري والهواء والحجر.

أريد أن أضع بحراً  
في الزنزانة  
أريد أن أسرق الزنازين  
و ألقها في البحر.

أريد أن أكون ساحراً  
فأضع سكيناً في القبعة  
أريد أن أمدّ يدي إلى القبعة  
و أخرج منها أغنية بيضاء.

أريد أن أمتلك مسدساً  
لأطلق النار على الذئب  
أريد أن أكون ذئباً  
لأفترس مَنْ يطلقون النار.

أريد أن أختبئ في زهرة  
خوفاً من القاتل  
أريد أن يموت القاتل

حينما يرى الأزهار.

أريد أن أفتح نافذة  
في كل جدار  
أريد أن أضع جداراً  
في وجه من يغلقون النوافذ.

أريد أن أكون زلزلاً  
لأهزّ القلوب الكسولة  
أريد أن أدس في كل قلب  
زلزلاً من الحكمة.

أريد أن أخطف غيمة  
و أخبئها في سريري  
أريد أن يخطف اللصوص سريري  
و يخبئونه في غيمة.

أريد أن تكون الكلمة

شجرة أو رغيماً أو قبلة  
أريد لمن لا يحب الشجر  
و الرغيغ  
و القبلة  
أن يمتنع عن الكلام

## مفارقات

أعد الأيام على أصابعي  
وعليها أعد أيضاً أصحابي وأصدقائي  
وفي يوم ما  
لن أعد على أصابعي  
سوى أصابعي"

- بول فانسانسيني -



## الذئب

---

الذئب الذي افترسني  
تركني وحيداً في الغابة  
مَنْ يغطي جثتي بالأعشاب  
بأوراق الأشجار اليابسة  
بقليل من تراب؟  
مَنْ يقرأ الفاتحة على روعي  
مَنْ يغمض عيني الهلعتين  
مَنْ يضع على صدري  
صليباً من أزهار؟  
الذئب الذي افترسني  
صار أنا  
أخذ وجهي الشاحب  
و شفتي المرتجفتين  
و قلبي الطيب  
و ظل محتفظاً بأنياه

أنا الذئب  
ذو اليد البيضاء  
أدور في المدينة وأعوي  
أنا الذي قتل الصياد في الغابة  
أنا الصياد  
احذروا حبي  
و احذروا أنيابي

من أكاذيب الكلام  
من أكاذيب الروائح  
من أكاذيب الأصوات  
من أكاذيب العالم  
الكذبة الوحيدة التي تستحق التصديق  
هي الحب.

في حصار الماضي  
في حصار الحاضر  
في حصار المستقبل  
لا منفذ للحياة  
سوى الحياة.

الكلمة الجميلة.. الكلمة اليائسة  
الكلمة الحزينة.. الكلمة المرحة

الكلمة العاشقة.. الكلمة البسيطة  
الكلمة الحية  
كلها تنتفض في قاع صمتي

القهوة مع الحليب في الصباح  
قبلة الزوجة السريعة  
الطريق إلى العمل  
الطريق إلى البيت  
الطريق إلى السرير  
و من ثم..  
القهوة مع الحليب في الصباح.

إنه حيّ تماماً  
المسه ولا تخف  
فالموتى لا يخيفون.

مثلما يهوي ينزل من فضاء بعيد  
نحو فضاء بعيد  
هكذا تهوي روحه  
هلعة، حزينة، ساطعة  
نحو حياة مفعمة بأشياء يحبها  
حياة تضيء ولو قليلاً  
عتمة نهاره الحالك السواد.

## خراب

---

كان عليه أن ينظر إلى المرأة  
ليرى عشرات الثقوب والأثلام  
تملاً سماء وجهه  
وجهه الذي يشبه  
قرية اجتاحتها الطوفان  
أو، على الأقل  
لوحة باهتة الألوان  
من القرن الثامن عشر.

كان عليه أن ينظر مرة ثانية  
و بعمق شديد  
ليرى عينيه الضاحكتين الودودتين  
تسخران من كل هذا الخراب.

## حلم

---

دائماً كان يحلم  
بتفاحة الحب الناضجة  
ليحتويها بين أصابعه العشرة.

كان ذلك حلماً وحسب  
كالوصول إلى القمر  
سنة 1920.

و كما في الأحلام  
لم يعد الحلم حلماً  
فها هو يقضم تفاحة الحب  
و ها هو سكرها يسيل على شفثيه.

مرة استفاق  
فوجد أنه يقضم قلبه

يرمي ثيابه في البئر  
يرمي كتبه وخاتم الزواج  
يرمي ماضيه المريض  
و حاضره الخائف  
يرمي أغانيه القديمة  
و أصدقاءه المنافقين  
يرمي كل ما تطاله يده  
من أوراق ومذكرات  
من أفكار ودمى  
يرمي بئر حياته في البئر  
يرمي دماغه أخيراً  
و يستدير نقياً وأبيض وسهلاً.

الآن فقط

يستطيع أن يقول: أحبك.

## العاشق

---

أعطِ القناص رصاصاً  
و انتظر بضع دقائق  
فسيملاً الشوارع بالجثث.

أعطِ النجار خشباً  
و انتظر بضعة أيام  
فسيملاً البئر بالنوافذ.

أعطِ الحداد حديداً  
و انتظر بضعة أشهر  
فسيملاً البراري برجال يشهرون السيوف.

أعطِ البستاني بذاراً  
و انتظر بضع سنوات  
فسيملاً الصحارى بالأشجار.

أما العاشق  
أما العاشق  
فلا تعطه شيئاً  
ففي قلبه ما يكفي الدنيا  
من السيوف والنوافذ  
من الأشجار والجثث.

## الراية

---

انظروا إليه  
انظروا إليه فقط  
لقد تفسخ جسده  
منذ زمن بعيد  
و ما زال يحمل راية الحرية.

## حياتنا الجميلة

---

الحياة حلوة  
يقول العصفور  
و يرتمي ميتاً قرب حذاء الصياد.

الحياة حلوة  
تقول الوردة  
و ترتمي ميتة في يد الولد الوسيم.

الحياة حلوة  
يقول  
و يطلق على رأسه النار.

الحياة قبيحة، كريهة، فاسدة، شريرة  
يقول الطاغية  
و يقضم قطعة من البسكويت.

## بلادنا الجميلة

ثمرة ثمرة  
تقطفين أيامي  
يا بلادي الجميلة  
فأستمع:  
لا أحد يغني  
سوى الساطور.

## لا أحد

---

فتحت الباب  
لم يدخله أحد  
لا ضيف، لا امرأة، لا شرطي.

فتحت النوافذ  
لم يدخلها أحد  
لا هواء، لا فراشة، لا أغنية تائهة.

فتحت قلبي  
لم يدخله أحد  
لا نهر، لا رصاصة، لا طير.

و ها أنذا الآن  
مغلقاً ووحيداً  
أنادي.. تعالي.

## فصول

---

الصيف سينتهي

الربيع انتهى

الخريف سيأتي

و الشتاء ما زال بعيداً.

في أي فصل نحن؟

## عتمة

---

اشعل سيجارة للصديق  
اشعل القلب البارد  
اشعل الضوء ليمرّ الثوار  
اشعل النار في التماثيل  
اشعل شمعة من أجل المسيح؟

لا تطفئ حياتك!

## الشهيد

---

إنهم ينتحبون

فوق الجسد البارد

حيث تتناثر الأزهار

زهرة على العنق

زهرة على البطن

زهرة على الكتف

زهرة بين الشفتين.

إنهم ينتحبون

فوق الجسد البارد

حيث:

السكين في القلب.

## شارع

---

هذه مدينة مليئة بالشوارع  
شوارع مفتوحة  
تؤدي إلى جميع الجهات  
لكن، اسمعني، أرجوك  
حياتنا مغلقة  
و الشارع الوحيد العادل  
ذلك الذي يأخذني إلى قلبك

مثلاً يمكن أن تصنع  
من غصن الشجرة الأخضر هراوة  
و من زجاجة الكازوز الفارغة  
أداة جارحة  
مثلاً يمكن أن تصنع  
من الغرفة الأليفة زنزانة  
و من الشارع الواسع مسرحاً للقتل  
مثلاً يمكن أن تكتب رسالة تهديد  
بالقلم نفسه  
الذي كتبت به رسائل الحب  
و تستطيع أن ترسم مشنقة  
بالريشة نفسها  
التي رسمت بها طفلاً يضحك  
و طائراً يطير  
و راعياً يغني

هكذا تماماً..

يتحوّل بعض البشر إلى جدران  
قاسية وكتيمة كما ينبغي  
جدران تستطيع أن تدق  
مسماراً فيها  
أن تضع عليها الصحف  
و الأواني  
و الكراسي الخشبيّة  
أن تفتّتها بالفؤوس والمطارق  
لكن من المتعذر تماماً  
أن تقول للجدار: يا صديقي  
فيرد عليك: يا أخي.

## نتفق أو لا نتفق

---

نحن متفقان:

الحياة جميلة

و الناس رائعون

و الطريق لم تنته

و لكن انظر إلي قليلاً

فإنني أتألم كوحش جريح في الفلاة.

\* \* \*

نحن متفقان إذاً

الربيع سيأتي طبعاً

و الشمس ستشرق كل صباح

و في الصيف سيجني الفلاحون القمح

الربيع يكفينا

و الشمس ايضاً

و القمح إذا أردت.

\* \* \*

و لكن قل لي:  
لماذا يملأ الدم  
غرفتي وسريري ومكتبتي؟  
و لماذا أحلم دائماً  
بطفل متطاير الأشلاء  
و دمية محطمة  
و رصاصة تنز؟

## غداً

---

عشرة آلاف غد  
خرجت من حياتي البارحة  
و ما زلت أقول غداً..  
غداً تأتي الغيمة  
و تبلل القلب المعطوب  
غداً يمد النهر أصابعه  
و يربت على كنف عطشي.

الغد يتحول إلى "اليوم"  
اليوم يصير "البارحة"  
و أنا أنتظر بلهفة  
الغد الجديد.

## قصائد عن الموتى

"لا نَحْنُ دُتْ جَابِـة  
فِي غَرْفِـة المِـوتِ  
نَرْفَعُ الشَّـمْعَ  
وَنُـرَاهِمُ يَمِـضُونَ  
أَرْفَعُ صَوْتِي قَلْبًا  
عَلَى عَتَبِـة البَابِ  
وَأَقُولُ بَضْعَ كَلِمَاتٍ  
لَأُضِيءَ دَرَبَهُمْ

فيليب جاكوتيت



## كم هي لذيدة

---

الموتى الذين ماتوا  
في الحروب والأوبئة  
في السجون والطرقات  
الموتى الذين ماتوا  
بالخنجر والرصاص والديناميت  
بالفأس وحبل المشنقة  
الموتى الجميلون  
ذوو الأسنان البالية  
و الوجوه النائنة  
تذكروا وهم في قبورهم  
ضوء القمر وخضرة المراعي  
تذكروا أنهم لم يعيشوا كما ينبغي  
لم ينتبهوا إلى الأصوات والألوان.  
تذكروا:  
كم قبلة أضاعوا؟

كم ضوءاً أغمضوا عيونهم كيلا يروه؟

كم زهرة لم يزرعوا؟

كم كلمة طيبة لم يقولوها؟

الموتى عرفوا

ربما للمرة الأخيرة

كم هي لذينة حياة الأحياء.

## الخنجر

---

الرجل مات  
الخنجر في القلب  
و الابتسامة في الشفتين  
الرجل مات  
الرجل يتنزّه في قبره  
ينظر إلى الأعلى  
ينظر إلى الأسفل  
ينظر حوله  
لا شيء سوى التراب  
لا شيء سوى القبضة اللامعة  
للخنجر في صدره  
يبتسم الرجل الميت  
و يربت على قبضة الخنجر  
الخنجر صديقه الوحيد  
الخنجر ذكرى عزيزة من الذين في الأعلى.

لم يأسف على شيء  
حينما أخذوه إلى المقبرة  
لم يأسف سوى على المطرقة والأزميل  
على الألوان والفرش  
على اللوحات والتماثيل  
و ها هو الآن في القبر  
هيكلاً عظيماً  
ها هو يقوم جامعاً عظامه  
سيصنع من سلاميات الأصابع  
خواتم وأقراطاً  
من الجمجمة ورقاً للنبيد  
من العود الفقري صحنوناً وأكواباً  
و ربما يصلح عظم الكتف  
لصنع طائر.

## ثوب أزرق

---

قبل أن ترتدي ثوبها الأزرق  
قبل أن تزور خالتها  
ماتت الفتاة الجميلة.  
الثوب ما زال في الخزانة  
و الخالة في قريتها  
و الفتاة في القبر.  
فأي شيء تحلم به الآن  
لقد نظفت قبرها تماماً  
لقد جمّلته كما ينبغي  
فأي شيء تحلم به الآن  
بعد أن سرّحت شعرها بأصابعها  
و قصّت أظافرها بأسنانها  
إنها تحلم.. إنها تحلم  
بثوبها الأزرق  
و زيارة خالتها.

## الدراجة

---

الولد فوق الدراجة  
سعيداً، ضاحكاً، منتشياً  
يدور في فناء قبره.

(حينما كان حياً  
سقط عن الدراجة ومات).

الولد في فناء قبره  
يدور بدراجة من عظام  
سعيداً، ضاحكاً، منتشياً.

## كتابة

---

بريشة من العظام  
و حبر من الطمي  
يكتب على جدران قبره  
قصائد وروايات وقصصاً  
قصائد عن الحب  
و روايات عن القرى والمدن  
و قصصاً عن الأرانب والعجول  
إنه يكتب منذ أن مات  
يكتب رغم أن أحداً لا يقرأ ما يكتبه  
يكتب دونما توقف  
يكتب برغبة، باندفاع  
لا يفعل شيئاً سوى الكتابة  
يكتبُ  
ربما  
لأن الكتابة فعل حياة.

## العاشق..

---

يحفر العاشق بأظافره  
تراب القبر  
يحفر في بقايا التاريخ  
يحفر منذ ألف عام  
يحفر ليصل  
يحفر دونما ألم  
(الموتى لا يتألمون)  
و العاشق الميت  
يريد الوصول لمن يحب  
و سيظل يحفر بالأظافر والأسنان  
تراب القبر  
سيظل يحفر إلى الأبد.

## حب

"لست أنا من يغني  
بل الأزهار التي رأيتها  
لست أنا من يبكي  
إنه حبي الضائع"

جاك بريفير



## يدك

---

خمس قارات مغلقة  
تنتظر أصابع يدك الخمسة  
خمس قارات مفتوحة تنتظرني  
عندما أضم أصابع يدك الخمسة.  
\* \* \*

يدك في الشتاء  
تراب مبلل بالمطر  
و يدك في الصيف  
سنبله في حقل من الرماد.  
\* \* \*

لا تفتحي يدك.. لا تفتحي يدك  
فكل أغاني العالم ستنتطق منها  
لا تغلقي يدك... لا تغلقي يدك  
فكل أغاني العالم ستلتجئ إليها.  
\* \* \*

يدك الطرية الدافئة

كقلبي

كيف أتركها تضيع كطائر

في غابة مليئة بالصيادين.

## حتى الذئاب

---

عندما تكونين حزينة  
يحزن معك النهر والزورق  
أشجار الصفصاف والدوري الرمادي  
الجبل ومصباح الغرفة  
الستائر وضوء الشمس  
القلب في الصدر  
و السمك في الأنهار  
و حتى ذئاب البراري المتوحشة  
حتى الذئاب  
تدفن رؤوسها في الرمال وتبكي.

## هكذا

---

مثل ساقية ماء تبحث عن مجرى  
مثل نبع ارتفعت عنه الصخور  
مثل قدم تتقدم في طريق لا نهاية له  
مثل ناي وجد فماً  
و شفتين أبصرتا شفتين  
هكذا أفتح عيني في الصباح  
النافذة المفتوحة.. مفتوحة  
و الهواء يعبث ببقايا أوراق  
و ما زال في العمر بقية  
للكتابة والضحك وصعود المرتفعات  
و هكذا..  
أضيف صباحاً جديداً في حصالة حياتي  
و أمضي.

## المعجزة

---

أول كلمة في الصباح  
هي لك  
و آخر كلمة في المساء  
هي لك أيضاً  
و ما بين صعود الشمس من خلف الجبل  
و سقوطها في البحر الأزرق  
ما بين الخيط الأبيض والأسود  
كتب وصحف وأقلام  
سجائر وأوقات مبدّدة  
أصدقاء وآلام  
و ما بين الصباح والمساء  
تطيرين كفراشة و تتبدين كعطر  
و أنا أغطّ إصبعي في الماء  
و أكتب على الورقة كلاماً أبيض  
و أنتظر المعجزة.

## تساؤلات

---

ماذا سيحدث لي غداً  
هل سأستيقظ كنسر  
بجناحين هائلين ومنقار أزرق  
لأطير إلى جبل أو وادٍ أو برية؟  
هل سأغني بفرح وجنون؟  
هل سأبكي وأعضُّ الوسادة بأسناني؟  
من سأرى في الصباح  
في الطريق اللولبي إلى عملي  
رجلاً أم امرأة  
طاغية أم ملاكاً؟  
كيف سأبدو أمامك  
حزيناً جداً أم سعيداً للغاية  
هل ستشبهيني بأرنب أبيض  
أم بغراب مريض؟  
و هل ستكون يدك حارة أم باردة

و عيناك مطفأتين أم مشتعلتين؟  
ما الأخبار التي سأقروها؟  
كم سيجارة سأدخن؟  
كم طعنة سألقى؟  
كم قبلة سأقطف من شجرة الحياة؟  
غداً، ماذا سيحدث لي؟  
اقذف قطعة نقود في الهواء وأضحك.  
إذا كان نسر سأحبك  
و إذا كانت كتابة سأحبك أيضاً.

## الحب

---

الحب ليس غرفة للإيجار  
نتركها ببساطة ونرحل  
مخلفين الصور القديمة والغبار  
و أعقاب السجائر.

\* \* \*

الحب ليس أغنية جميلة  
نتعلمها بغتة، وننساها بغتة  
كما ننسى، عندما نكبر،  
الطفولة واللعب وحليب الأمهات.

\* \* \*

الحب ليس حبة أسبرين  
نتناولها عندما نشعر بالصداع  
و ليس نكتة خفيفة  
نتداولها في أوقات الضجر.

\* \* \*

الحب ليس وردة للزينة  
و لا كأساً مكسورة لسلة المهملات.

\* \* \*

الحب..

شهادة ولادة دائمة

نحملها برأس مرفوع

لنخترق شارع المذبحة

## أرجوك

---

اكتب لي شيئاً أرجوك  
دعني أفهمك وتفهمني  
اكتب لي شيئاً.

اكتب لي بقلم الرصاص على ورقة  
بإصبعك على راحة يدي  
بعود كبريت على طلاء جدار  
اكتب لي أرجوك.

قل لي ما النفع أرجوك  
من حلم محاط بالسواد  
من فم بلا شفاه  
من سماء بلا زرقة  
من غابة بلا أشجار  
و من حياة بلا حرية.

قل لي شيئاً أرجوك  
اكتب أو ارسم أو غنّ  
غنّ عن الوطن الذي يتألم

أنا الهواء في رنتيك  
و الأزرار في قميصك  
أينما كنتِ ستجديني  
براحتيّ الدافنتين  
و قامتي القصيرة  
أنتظرك على الرصيف  
أنتظرك في العمل  
أنتظرك فوق السرير  
و اثقاً بأنك ستأتين  
لأنني معك دائماً  
أخطأ أيامك بالقبّل  
و دمك بالأزهار  
أنظر إليك من سمائي كإله  
و أرفع يدي طالباً مغفرتك  
أنا صرخة الألم في حنجرتك

و الأغبية الجميلة التي ترددين  
أنظر إليك من البعيد  
و أخاف أن ألمسك  
و حينما أمسك يدك  
لا أستطيع أن أبتعد عنك  
حيوانك المدلل أنا  
و هوايتك المفضلة  
بلادك النائبة  
و مستقبلك القريب  
بقدمي الحافيتين وقلبي المرتجف  
أركض معك في الدروب الوعرة  
أنا الغبار من حولك  
و العرق الذي يسيل من مسام جسدك  
أينما نظرتِ سترينني  
على الطاولة والكرسي والمدفأة  
في المكتبة والحمام والباص  
في الحقول والمصانع ومظاهرات الطلبة  
أنمو كالأعشاب في شرفتك المشمسة

و أتدلى من سقف غرفتك كالمصباح  
بأصابعي العشرة أحتوي وجهك  
و بأصابعي العشرة أدفع المتاعب عنك  
بأصابعي العشرة أعدّ لك القهوة  
و بأصابعي العشرة أسندك  
إذ توشكين على السقوط  
أنا الوردية في شَعرك الأسود  
و الدبوس في عروة سترتك  
عندما تنامين  
أندس بين أحلامك ولا أنام  
أضحك وأبكي وأتألم  
و أحارب أعدائك القساة  
و في الصباح  
أندرج مع الماء على وجهك  
و أجفّفه بشفتي  
أنا التفاحة التي قطفت  
و الأرض التي طردت إليها  
أنا اللوحة التي تزينين بها

جدار حياتك الأسود  
و الدم الذي يسيل منك  
حينما يطلقون عليك الرصاص  
يناديك النهار فألتفت  
تبردين فيرتعش جسدي  
بعيني تشاهدين الطيور  
و بصوتك أطالب بالحرية  
أما عندما تموتين  
من الجوع أو الحب  
فسأحاول ألا أموت معك  
ذلك أن الموتى  
بحاجة لمن يذكرهم  
و لن يفعل ذلك أحد سواي.

أنا وحش  
من العصور القديمة  
سأدافع عنك  
بالمخالب والأنياب.

أنا حيوان جريح في غابة  
تعالى والمسي جراحي بأناملك.

أنا زهرة متعبة  
في غابة بعيدة  
سأتقدم بهدوء وأنام على صدرك.

أنا رجل خاطئ  
ها أنذا أرفع يدي  
طالباً مغفرتك.

أنا طفل لم أحفظ دروسي  
تعالى علميني  
كيف أجمع برتقالة وسبع تفاحات.

هناك حقيقة واحدة  
بدأت أدركها  
هى أن حبي  
لا تسعه هذه الأرض الصغيرة.

لو كان حبي طيوراً  
هل تسعها السماء؟  
لو كان حبي سمكاً  
هل يسعه البحر؟  
لو كان حبي أشجاراً  
هل تسعها براري الدنيا؟

أعرف أن الحب

بسيط كالزنابق  
سهل كمطر الربيع  
واضح كسماء زرقاء  
لكني أتساءل:  
لماذا يخاف الكثيرون  
من الزنابق  
و مطر الربيع  
و السماء الزرقاء.

تعالى لنلغم  
صقيع العالم  
بديناميت القبلات.

### 1- المكتب

كلّ صباح

حينما أفتح باب غرفتك بهدوء كاذب  
محاوِلاً إخفاء ارتجاف أصابعي وشرائبي

كلّ صباح

حينما أراكِ تعبثين بالبطاقات البيضاء  
بالصحف والمجلات

بالزمن والقهوة

كلّ صباح

أتمنى

حينما أدخل غرفتك بهدوء كاذب

أن أكون قلماً أو ممحاة

صحيفة أو فنجان قهوة

بين أصابعك التي تعبت بالأشياء

كما يعبث عازف مبتدئ بمفاتيح البيانو.

## 2- الطريق

في الطريق حينما أكون معك

في الخريف الذي طال

حيث تشتعل الشمس وتتطفئ

بطريقة غريبة

بطريقة أخاذة

في الطريق، في الطريق

حيث تسقط ورقة شجر صفراء

فوق شعرك الأسود المشتعل

أقول لك: اقتربي

لقد وقع طائر أصفر فوق رأسك

و ها هو ينقر حبوب العدس

طائر أصفر صغير يغني

فوق أغصان شعرك العزيز

شعرك الذي كقطيع من الماعز

يرعى في برية القلب.

### 3- البيت

حذاؤك في الزاوية  
ثوبك فوق الكرسي  
و فوق المنضدة دبابيس شعرك  
خاتمك الذهبي  
و حقيبتك السوداء  
و أنت معي  
عارية وخائفة  
- ممّ تخافين..؟  
من قنبلة تسقط فوق زهرة!  
من زهرة تحت عجلات قطار!  
عارية وترتجفين  
- ممّ ترتجفين؟  
من بركان يتفجر!  
من رغبة تنن!

عارية وتلتصقين بي  
سأترك النافذة مفتوحة  
انظري.. انظري  
ها هي السماء الزرقاء  
و ها هي قطة بيضاء ورمادية  
تتنزه فوق حافة الجدار المقابل للنافذة  
و ها نحن  
نقتسم رغيف الحب  
نأكل من صحن واحد  
بملعقة واحدة  
و كل ما نملكه وما لا نملكه  
سنقتسمه أيضاً  
تماماً  
كرفيقين في رحلة طويلة.

## اثنان

---

كانا اثنين  
يمشيان معاً  
في الشوارع المهجورة  
منه تفوح رائحة التبغ  
و منها تتساقط أوراق الليمون  
و عند المنعطف  
كنجمتين سقطا.

\* \* \*

كانا اثنين  
أحدهما يغني  
و الآخر يحب الإصغاء  
فجأة توقف عن هذا  
و توقفت عن ذلك  
عندما انكسر المزمار.

\* \* \*

كانا اثنين  
أهدته قلماً للكتابة  
و أهداها حذاء خفيفاً للنزهات  
بالقلم كتب لها: "وداعاً"  
و بالحذاء الخفيف جاءت لتودعه.

أعددت لكِ فنجان القهوة  
فنجان قهوة ساخنة  
القهوة بردت  
و ما جئتِ.

وضعت وردة في كأس ماء  
وردة حمراء حمراء  
الوردة ذبلت  
و ما أتيتِ.

كل يوم أفتح النافذة  
فأرى الأوراق تتساقط  
و المطر ينهمر  
و الطيور تنن  
و لا أراك.

لقد اعتدتُ

أن أعدّ القهوة كل صباح لإثنين

أن أضع وردة حمراء في كأس ماء

أن أفتح النوافذ للريح والمطر والشمس

لقد اعتدت

أن أنتظرك أيتها الثورة.

# رياض الصالح الحسين



رياض الصالح الحسين (10 آذار / مارس 1954 - 20 تشرين الثاني / نوفمبر 1982)، شاعر سوري ولد في مدينة درعا، سوريا، وتوفي في مستشفى المواساة بدمشق، ودُفن في مقبرة مارع، شمال حلب.

عانى من فشل كلوي منذ صغره وأصيب بالصمم والبكم ومنعه ذلك من إكمال دراسته النظامية، فاعتمد على التثقيف الذاتي، وواظب على القراءة والاطلاع بشكل مستقل.

اضطر لممارسة العمل مبكراً في عدة مجالات: عامل في مصنع غزل موظف في مؤسسة الأمالي الجامعية، عامل في

ورشة خياطة، موظف في مكتب الدراسات الفلسطينية،  
صحفي في صحيفة "تشرين" ومصحح لغوي في وزارة الثقافة  
السورية.

انتقل إلى حلب، وتعرف فيها على مجموعة متنوعة من  
المثقفين السوريين: علي كتحدا، نذير جعفر، بشير البكر، نبيل  
سليمان، نجم الدين سمان، حامد بدرخان، هيثم الخوجة، سمر  
المير، وبدأ كتابة الشعر في العام 1974.

تحول إلى دمشق في هام 1977 وبدأ كتابة قصيدة النثر  
وانخرط في المشهد الثقافي للعاصمة، وشارك مع مجموعة  
من الأدباء (خالد درويش، فرج بيرقدار، جميل حتمل، وائل  
سواح، موفق سليمان، فاديا لاذقاني) في إصدار "الكراس  
الأدبي"، الذي توقف بعد عدده التاسع، واعتُقل معظم محرّريه،  
ومنهم رياض نفسه، وتعرّف على كتاب عراقيين مقيمين: هاشم  
شفيق، مهدي محمد علي، عبد الكريم كاصد.

إرثه وتأثيره:

- يُعدّ من رواد قصيدة النثر في سوريا والعالم العربي  
الحديث، وترك بصمة مميزة في الشعر العربي المعاصر رغم  
عمره القصير ورغم ظروفه الصحية والاجتماعية الصعبة. ما  
زالت أعماله تُعاد طباعتها ودراستها، وتُترجم إلى لغات  
أخرى، مما يؤكد تميزه الشعري "شاعر كتب حياته قصيدة،  
ومات تاركاً وراءه صوتاً لا يزال يتردّد في ذاكرة الشعر  
العربي."

## أعماله الأدبية:

1. خراب الدورة الدموية (1979)، وزارة الثقافة، دمشق - سورية.
2. أساطير يومية (1980)، وزارة الثقافة، دمشق - سورية
3. بسيط كالماء واضح كطلقة مسدس (1982)، دار الجرمق، دمشق - سورية
4. وعل في الغابة (1983)، وزارة الثقافة السورية، دمشق - سورية. صدر بعد وفاته
5. الأعمال الكاملة (2015)، منشورات المتوسط، بالتعاون مع مؤسسة ناينيل للثقافة ورابطة الكتاب السوريين
6. تانغو تحت سقف ضيق (2021) – طبعة إنكليزية لمختارات من قصائده، ترجمة: صالح الرزوق، ومراجعة فيليب تيرمان، عن دار نشر The Bitter Oleander Press، نيويورك.